سبائك الذهب في فضائل العرب

بقلم

أ. د. محمد رفعت أحمد زنجير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).

(سورة يوسف: 1-2)

بوابة مكة المكرمة[1]

[1] – المصدر: http://www.an7a.com/wp-content/uploads/2013/08/20-%D9%86%D8%B3%D8%AE1.jpg

الإهـــداء

إلى سيد العرب غير منازع

إلى من وحدهم وهذبهم وعلمهم وزكاهم ورباهم

إلى من جعل من رعاة الغنم رعاةً للأمم

إلى من جعل اللغة العربية سيدة اللغات

إلى من رفع شعبه وأمته والإنسانية جميعاً بهذا القرآن الكريم

إلى سيدنا محمد رسول الله ﷺ سيد الأولين والآخرين

وإلى أمته الصابرة المصابرة التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس

إلى سيدنا النبي وأمته جميعاً أهدي هذا الكتاب

******

جـــدي النبيُّ وأهل البيت والكرم *** داري العروبةُ مهـد البيتِ والحرمِ

هيهـــات أخشى مع الإسلام نائبةً *** فالله ربـــــي وحبلُ الله معتصمي

المؤلف

جدول المحتويات

المواضيع

مقدمـة.....11

المبحث الأول: عراقة النسب: عيال إبراهيم عليه السلام!.....21

المبحث الثاني: الدين أسمى المقدسات.....27

المبحث الثالث: قدسية المكان 31

المبحث الرابع: الوجهة الخالدة: الكعبة المشرفة.....37

المبحث الخامس: تميز البلد والحجاز والجزيرة العربية عموماً.....41

المبحث السادس: خصوصية البيئة العربية.....49

المبحث السابع: قدسية الزمان: الأشهر الحرم.....55

المبحث الثامن: جذور التاريخ العـربي.....57

المبحث التاسع: النشـاط العقلي لدى أذكى الأمم.....63

المبحث العاشر: علـوم العرب الأوائل.....67

المبحث الحادي عشر: قيثارةُ الخلود: اللغة العربية.....71

المبحث الثاني عشر: المعلقات: قبس من الأدب الخالد.....81

المبحث الثالث عشر: البديع والارتجال كأنه إلهام.....91

المبحث الرابع عشر: اعتدال الوصف واللون 95

المبحث الخامس عشر: العاطفة المتوهجة كالشمس! 99

المبحث السادس عشر: بحار الكرم.....105

المبحث السابع عشر: ليوث الشجاعة.....111

المبحث الثامن عشر: عشاق الشمس.....117

المبحث التاسع عشر: أصحاب العِرض المصون! 125

المبحث العشرون: سيدة النساء: المرأة العربية.....131

المبحث الحادي والعشرون: فضائلهم في الجاهلية.....137

المبحث الثاني والعشرون: فضائلهم في الإسلام.....141

المبحث الثالث والعشرون: فضائلهم كما وردت في الحديث النبوي.....149

المبحث الرابع والعشرون: آل البيت ﷺ سادة العرب! 155

المبحث الخامس والعشرون: الصحابة صفوة الله بعد الأنبياء والمرسلين.....161

المبحث السادس والعشرون: ما قيل عن العرب في حضرة الملوك 165

المبحث السابع والعشرون: مما تميز به العرب دون سائر الأمم.....173

المبحث الثامن والعشرون: فضائل العرب على العصر الحديث.....181

المبحث التاسع والعشرون: نقاط ضعف العرب.....187

المبحث الثلاثون: لماذا تعثرت النهضة العربية؟.....203

المبحث الحادي والثلاثون: ماذا ينتظر العالم من العرب؟.....209

الخـاتمة.....215

المصادر والمراجع.....221

◙ ◙ ◙

المـلاحق

الملحق الأول: حول فضل العرب وهل ثبت فيه شيء؟.....229

الملحق الثاني: فتوى حول بعض أحاديث الفضائل المتعلقة بالعرب والنهي عن بغضهم.....235

الملحق الثالث: فتوى حول اللغة العربية 238

الملحق الرابع: مقال علمي حول فضل جنس العرب هِبَة ربانية.....240

الملحق الخامس: مقال علمي أيضاً حول فضل اللغة العربية على اللغات كفضل القمر ليلة البدر على الكواكب.....244

الملحق السادس: بحث علمي عن: فضائل اللّغة العَربية وعلومها، وكيف يمكن تعلّمها.....253

الملحق السابع: مقال حضارتنا في عيون الغربيين، للدكتور عبد المعطي الدالاتي.....274

◙ ◙ ◙

مقدمـــــــــــة

الحمد لله الذي الذي بعث رسوله مُحَمَّداً في الأميين، وأنزل عليه القرآن بلسان عربي مبين، وجعل قبلته الكعبة البيت الحرام في البلد الأمين، وفرض حج البيت على العالمين، وجعل أمة مُحَمَّد أمة وسطاً في الدنيا والدين، وجعلها خير الأمم أجمعين، وصفوتها هم المهاجرون والأنصار من السابقين الأولين، وجعل قريشاً رأس العرب أجمعين، وجعل منها مع قبائل العرب وبخاصة والأوس والخزرج صفوة الله من العالمين، فبهم قام الهدى وانتشر الحق المبين، وهم ذادوا عن الإسلام ونشروه في شتى الميادين، ﷺ من غر ميامين، وجعلنا عقبا صالحاً لهم إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيد ولد عدنان، من أوتي الفصاحة وحسن البيان، وكانت معجزة معجزاته هذا القرآن، فهو النبي العربي القرشي الهاشمي التهامي فخر بني الإنسان، من أحبه فقد أحب العرب، ومن أبغضه فقد أبغضهم، كما ورد عنه[2] صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين إلى يوم البعث.

وبعد: فإن الأمم في حالة تخلفها بحاجة إلى أن نذكرها بمجدها الغابر، وإرثها العظيم، حتى نحفزها على الوثبة والانطلاق، فكيف إذا كانت هذه الأمة هي أمة العرب التي بزغت فيها شمس

---

[2] – انظر: مشكاة المصابيح للتبريزي، بتحقيق الألباني، (1690/3)، الحديث (5989 – 5990)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1405هـ/ 1985م.

الإسلام، وحج كعبتها الأنام، وجعلها الله رائدة الدعوة إليه، وسلمها في ذلك الزمام، فكل الناس تبع لها في فهم دينهم، وإدراك كنه وجودهم وإنسانيتهم .. لذا فقد صاروا أساتذة الناس وقادة العالم ومصلحيه ومربيه، لأنهم بحق هم صفوة هذا الوجود، ومصابيح هذه السماء، وملح هذه الدنيا، فلا صلاح لهذا العالم إلا بهم، ولا صلاح لهم إلا بهذا الدين الذي هو هبة الرحمن لبني الإنسان!.

لقد قام العرب الأوائل بواجبهم نحو هذا الدين، ونحو الأرض والحضارة والإنسان، ونشروا حضارتهم من الأندلس إلى الفلبين، وكان لهم الأثر الأكبر في حضارتنا المعاصرة ... ولكن لما طال عليهم الأمد بدلوا وغيروا... فضاعوا وأضاعوا، وتخلفوا وتقهقروا.. ومضى بقيادة ركب الحضارة أقوام غيرهم، بينما هم في وضع لا يحسدون عليه من التخلف والفرقة والانحطاط الحضاري والنفسي... فقام أعداؤهم يزدرونهم، ويجردونهم من كل القيم الفاضلة، والله يشهد إنهم لكاذبون في افترائهم على العرب، وتجريدهم من كل فضيلة، وهو افتراء يقصد من ورائه ذم الإسلام، لأن العرب هم مادة الإسلام وعنصره وجوهره في كل زمان ومكان!.

فأحببنا أن نذود عن العرب بعبارة موجزة، مذكرين بفضائلهم التي هي عدد النجوم، لأن الذود عنهم هو ذود عن هذا الدين، ونحن إذ نذود عنهم لا نألو أن ندعوهم إلى تجديد العهد، وبذل الجهد لكي يعودوا سادة الدنيا وغرر البشر، وما ذلك إلا بالجد والاجتهاد والعمل، والجمع بين

الأصالة والمعاصرة، والانخراط في العولمة بتحفظ مع حفظ الهوية القومية، ومشاركة الإنسانية بآلامها وآمالها، من أجل مستقبل مجيد، وعيش رغيد.

إن العربي الحر لا يعرف التزلف والنفاق والخنوع والاستسلام لأعدائه، يقول الشريف الرضي:[3]

ألا ليتَ شعري هل تبلغني المنى
وتلقى بيَ الأعـداء أحصنة جردُ
كأنَّ نجومَ الليلِ تحت سـروجِها
تهاوَى على الظلماءِ والليلُ مسودُّ
يعيدُ عليها الطـعنَ كلُّ ابن همةٍ
كأنَّ دمَ الأعداءِ في فمهِ شــهدُ
يضاربُ حتى مـا لصارمِهِ قوًى
ويطعنُ حتى ما لذابلهِ جــهدُ
إذا عربي لم يكن مثل ســيفه
مضاءً على الأعداء أنكره الجدُّ

[3] – مختارات البارودي،(235/2).

والعربي الحر لا يكون إلا كما قال أبو فراس: [4]

ونحن أناس لا توســـط عندنا

لنا الصدر دون العالميـن أو القبر

تهونُ علينا في المعالــي نفوسُنا

ومن يخطبِ الحسناءَ لم يُغلها المهرُ

والناس تبع له كما قال الفرزدق:[5]

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا

وإن نحنُ أومأنا إلى النـاس وقَّفوا

وفي غضبتهم غضبة العالم كله، كما قال جرير: [6]

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ

رأيت الناسَ كلهم غِضابا

---

4 - مختارات البارودي،(85/2).

5 - علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، ص (66).

6 - علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، ص (66).

الكتب في فضائل العرب

ولسنا بدعاً في الذبِّ عن العرب، والتنويه بفضلهم، فقد كتب في فضل العرب كثير من الكتب.. فمن ذلك:

- فضلُ العربِ والتنبيه على عُلومِها، لابن قتيبة الدينورى، منشورات المجمع الثقافى / أبو ظبى ، بتحقيق د. وليد محمود خالص.

- محجة القرب إلى محبة العرب، لزين الدين العراقي، وقد طبع بتحقيق الدكتور عبدالعزيز الزير، وصدر عن دار العاصمة.

- وله أيضاً: القرب في محبة العرب. طبع عام 1303هـ طبعة حجرية في الهند. ثم بمصر عام 1381هـ محققاً.

- مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب، لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي م سنة 1033هـ . طبع بتحقيق علي الحلبي.

- جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب العلي، ومؤلفه نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله السمهودي المدني الشافعي. م سنة 911هـ. والكتاب مطبوع.

- مبلغ الأرب في فضائل العرب، ومؤلفه أحمد بن مُحَمَّد بن حجر الهيتمي. م سنة 974هـ. وقد طبع عام 1357هـ في مطبعة أم القرى بمكة.

- العرب شرفاً ونسباً، للشيخ أبي عبدالرحمن الظاهري.[7]

تلك كتب مستقلة تحدثت عن مزايا العرب، فضلاً عما ورد في فضلهم ضمن كتب الدين والأدب والتاريخ والسيرة النبوية، والأنساب، والتراجم[8]، من أخبار مبثوثة، وقصص عجيبة، وآثار بديعة ، مما يحتاج إلى التتبع والدراسة والفهرسة، وهو عمل عظيم يحتاج للقيام به إلى مؤسسة أكاديمية متخصصة!.

المنهج المتبع

ونحن لم يتيسر لنا أن نطلع على بعض الكتب المتخصصة في فضائل العرب، ولذلك سلكنا منهجاً آخر في هذا البحث الموسوم بـ: (سبائك الذهب في فضائل العرب)، وهو منهج يقوم على التقاط حادثة أو معلومة في كل موضوع نطرقه، ثم نحللها وندرسها.

وقد اخترنا موضوعات محددة اقتصرت الدراسة عليها، وجعلناها ضمن مباحث، وعددها واحد وثلاثون مبحثاً، فليس الغرض من هذا البحث الشمول والإحاطة، وإنما التنوير والتبصير.

---

7 – أخذنا بيانات هذه الكتب من مقال: (الساميون العرب القدماء منهم جاء الأنبياء) وهو موجود على الرابط الآتي: http://slamoon.com/vb/t10876.html

8 – انظر أسماء معظم هذه الكتب في كتاب شيخنا العالم المحقق والباحث الأديب الحبيب الدكتور محمود مُحَمَّد الطناحي رحمة الله تعالى!، والموسوم بـ: (الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم)، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1985م.

وهذا البحث موجه أساساً للناشئة والجامعيين، وليس لأساطين أهل العلم ونطاسيه، وذلك بغرض تزويدهم بأهم المعلومات حول أمة العرب وفضائلها وخصائصها، بأسلوب مختصر، فقد اكتفينا بمباحث هذا الكتاب بالإشارات دون التوسع، لأن المصادر الكبيرة موجودة، وإنما أحببنا التذكير بمناقب القوم فقط، والحر تكفيه الإشارة كما تقول العرب!.

وألحقنا بالبحث بعض المقالات التي كتبها بعض الأساتذة الأجلاء دفاعاً عن العرب ولغتهم!.

الإنسانية أسرة واحدة

وليس هذا البحث نابعاً عن تحيز لأمة دون أخرى، حاشا وكلا... فنحن نؤمن بإنسانية الإنسان ووحدة الأسرة الإنسانية وفضائل البشر، كما أرشد لذاك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ). (الحجرات: 13).

ولقد علمنا ديننا، كما علمنا العقل السوي، والمنهج القويم: أن نحترم جميع الأمم والشعوب، لأنهم إخوتنا في المسير والمصير... ولكل أمة خصائص ومزايا تنفرد بها دون غيرها[9]، والبشرية كلها بأممها وشعوبها كفسيفساء جميلة، يكمل بعضها بعضاً، والتنوع فيها هو حكمة ربانية، وضرورة إنسانية، وصورة حضارية، هكذا علمتنا عروبتنا في الجاهلية، حيث تعايش العرب مع كافة الملل

[9] – عرضنا لفضائل الأمم والشعوب من روم وفرس وغيرهما في كتابنا: (في ظلال السنة) راجع المبحث الثالث منه وهو بعنوان: (الشعوب والجنسيات).

والأديان في جزيرتهم وما حولها، وجاء الإسلام فوطد أواصر هذا التعايش فأطلق لفظ أهل الكتاب على أهل الكتاب الأول من العهدين القديم والجديد، وهو بمعنى الفئة المثقفة، واحترم الأقباط فهم أخوال العرب ومنهم كانت هاجر أم إسماعيل عليه السلام، واحترم الأقليات من كافة الألوان والأشكال لأن الجميع أبناء آدم عليه السلام ... وإنما جاء هذا البحث إحقاقا للحق، بعد أن تطاولت الشعوبية وبعض الأقلام الجديدة على العرب، وتكاثرت عليهم البراغيث والضباع، ووجدنا من المرجفين من يتأثر بأقوالها، كما وجدنا طوفان العولمة يوشك أن يقتلع هذه الأمة من جذورها ليحولها أمة ضعيفة تابعة من الأذلة والعبيد!.

إن تاريخ العرب يؤكد أنهم لم يركعوا إلا لخالقهم، ولن يقبلوا أن يكونوا رعاعاً في هذا العالم بعد أن كانوا رؤوسه... برغم ما يعتريهم من محن ومصائب، وما يقع عليهم من سياط الجلادين، وبذاءة المتشدقين، وشكوك بعض المستشرقين، وحقد الحاسدين ...

من أجل هذا كله كتبنا هذا الكتاب بإيجاز نرد فيه الشبهات، ونثبت فيه الحقائق، وإنا لنناشد فيه جيلنا والأجيال القادمة أن تقرأ وتعمل.. وتجد وتجتهد.. وتتوحد في المسير والمصير، وتقاوم التخلف والجهل والتمزق والأمية.. وتعرف أهمية الدور التاريخي الملقى على عاتقها... لكي تبني وطناً عربياً حراً موحداً تسود فيه العدالة والمساواة، ثم تشارك في ترشيد المسيرة الإنسانية وقيادة البشرية نحو الأمن والسلام.

اللهم اجعله عملاً خالصاً لوجهك الكريم، وتوفني مسلماً وألحقني بالصالحين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

أعلام الدول العربية[10]

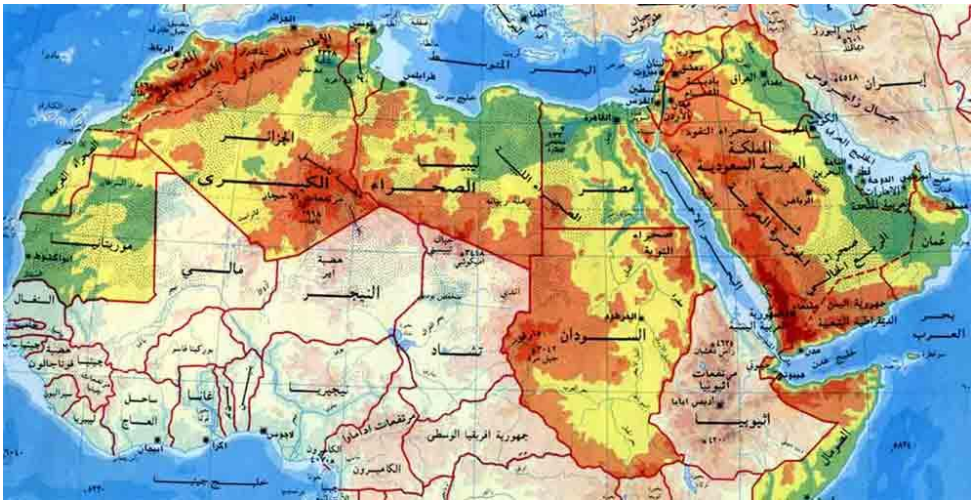

خريطة العالم العربي في العصر الحديث[11]

[10] – المصدر: https://tvarab.files.wordpress.com/2013/01/001252822529 252 812529.jpg?w=300

[11] – المصدر: http://www.4arb.com/wp-content/uploads/2014/09/HDK 16576.jp

المبحث الأول

عراقة النسب: عيال إبراهيم عليه السلام!

العرب فرع من الشعوب السامية، التي تنتسب إلى سام بن نوح عليه السلام، ففي الحديث الشريف: (سام أبو العربِ، وحام أبو الحبش، ويافِث أبو الروم).[12]

والشعوب السامية كثيرة، ويمكن "عد العرب واليهود والفينيقيون والعبريون والسوريون والبابليون والآشوريون، الذين استوطنوا جزيرة العرب وآسيا الصغرى حتى الفرات، من أصل واحد، ويطلق على هذا الأصل اسم الأرومة السامية".[13]

والعرب هم أبناء إبراهيم الخليل عليه السلام وأحفاده، ومن اتبعه منهم كان إبراهيم بالنسبة له أبا روحيا مثلما هو أب في النسب[14]، ومن اتبعه من غير العرب والساميين فهو أب روحي لهم، وأما

---

[12] – رواه أحمد والترمذي والحاكم عن سمرة، ورمز السيوطي له بالحسن، انظر: الجامع الصغير، (83/4)، الحديث (4631)، دار الفكر.

[13] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (64)، مكتبة الأسرة 2000، بإشراف د. سمير سرحان، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[14] – المؤرخون متفقون على أن عرب الشمال (العدنانية) هم من أبناء إبراهيم، والخلاف على أهل اليمن (القحطانية)، قال ابن هشام في السيرة النبوية: (17/1) [تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الفكر، 1409هـ/ 1989م]: "..فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان، وبعض أهل اليمن يقول: قحطان من ولد إسماعيل،

من اتبعه الشعوب السامية فإما أن يكون عربياً أو إسرائليا من أبناء إسحاق، وهؤلاء هم جميعاً من أبناء إبراهيم، أو يكون سامياً من غير أبناء إبراهيم، فيمكن اعتبار إبراهيم عماً له، والعم هو أب في المجاز، وعليه فإبراهيم هو أبٌ للعرب والمسلمين جميعاً، وعليه قوله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ). (سورة الحج: 78).

هذا هو نسب العرب إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، إنه نسب يرفع أصحابه فوق الشمس!، وهو نسب يليق به مثل قول زهير: [15]

لوكان يقعد فوق الشمس من كرم

قــومٌ لأولِهم أو مجدهم قعدوا

والعرب عرق متميز عبر التاريخ كله، "ويمكن تعريف العرق، أو النوع البشري، بأنه يدل على جماعات ذات أخلاق مشتركة، تنتقل إليها بالوراثة انتقالا منتظما"[16]

ويقول: إسماعيل أبو العرب كلها". ونحن نميل إلى الرأي القائل بأن إسماعيل هو أبو العرب جميعاً من القحطانة والعدنانية.

[15] – ديوان زهير بن أبي سلمى، ص (26)، دار صادر، بيروت.

وهم ينفعلون بالحضارة، فإذا انفعلوا بها إيجاباً عمروها وشيدوها، وإذا دبت فيهم عوامل الضعف والفرقة ذهبت جهودهم أدراج الرياح، ولذلك يقول غوستاف لوبون: "ولم يظهر كالعرب عرقٌ يصلح أن يكون مثالاً بارزاً لتأثير العوامل التي تهيمن على قيام الدول وعظمتها وانحطاطها"[17]

والعرب، كما ذكر المنصفون، هم من أفضل شعوب الأرض ديناً وخلقاً على الإجمال، وقد يكون منهم كافرون بالشريعة السمحة، كما أن العجم يأتون بعد ذلك بالفضل، وقد يكون منهم أفراد سباقون لمعظم العرب في الفضل، كما هو سلمان الفارسي ﷺ، ولذلك كان سلمان الفارسي ﷺ من آل البيت[18]، وهذا غاية التقدير من النبي عليه الصلاة والسلام لسلمان ﷺ، وفي ذلك يقول أبو فراس:[19]

كانتْ مودةُ سلمان له رحماً

ولم يكن بين نوحٍ وابنه رحمُ

ويؤكد ما ذهبنا إليه من أفضلية العرب ما جاء في الحديث: (إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خير فِرَقهم، وخيرِ الفرقتين، ثم تخيرَ القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني

---

16 – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (59).

17 – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (618).

18 – في الحديث: (سلمان منا أهل البيت). رواه الطبراني والحاكم عن عمرو بن عوف، ورمز السيوطي لصحته، انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، (106/4).

19 – ديوانه، ص (133).

في خير بيوتهم، فأنا أخيرُهم نفساً، وخيرُهم بيتاً)[20]. ".. فالحديث صحيح في تفضيل العرب على العجم".[21]

وقد جاء إبراهيم بزوجه هاجر إلى مكة، فولدت له إسماعيل، وتزوج إسماعيل من قبيلة جرهم، وكثر أولاده بمكة، قال ابن هشام: "ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة، وأخوالهم من جرهم ولاة البيت، والحكام بمكة، لا ينازعهم ولد إسماعيل في ذلك لخئولتهم وقرابتهم، وإعظاماً للحرمة أن يكون فيها بغي أو قتال، فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد، فلا يناوئون قوماً إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم، فوطئوهم".[22]

إن نسب العرب إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ مشرق كقطعة من ضياء الشمس، أو نور الصباح، فما أحراه بقول أبي تمام:[23]

نسبٌ كأنَّ عليه من شمس الضحى

نوراً ومن فلـق الصباحِ عمودا

---

20 – رواه الترمذي عن العباس بن عبد المطلب، ورمز السيوطي لصحته، انظر: الجامع الصغير، (232/2)، الحديث (1735).

21 – فيض القدير شرح الجامع الصغير، (232/2).

22 – السيرة النبوية، لابن هشام، (135/1).

23 – مختارات البارودي، (156/1).

وجدير بالذكر أن جميع الأنبياء والمرسلين المذكرورين في القرآن هم من الشعوب السامية، وهم إما من العرب، أو عاشوا على الأرض العربية، أو من أبناء عمومة العرب[24]، والله أعلم.

مقام إبراهيم في مكة المكرمة[25]

[24] - جاء في فيض القدير شرح الجامع الصغير (83/4) الآتي: "وقال ابن جرير: روي أن نوحاً دعا لسام أن يكون الأنبياء من ولده، ودعا ليافث أن يكون الملوك من ولده، ودعا على حام بأن يتغير لونه، ويكون ولده عبيداً، وأنه رق عليه بعد ذلك، فدعا له بأن يرزق الرأفة من أخويه".

[25] - المصدر: https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/thumb/9/ 97/ Mqam_a1918.jpg/250px-Mqam_a1918.jpg

مرقد أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام في الخليل[26]

[26] - المصدر: http://www3.0zz0.com/2013/10/21/14/382359292.jpg

المبحث الثاني

الدين أســمى المقدسات

العرب أمة متدينة بالفطرة، تعظم دينها وتقدمه على كل شيء سواء في جاهليتها أو إسلامها، والدين هو سبب قوتهم وملكهم، به يتآلفون ويجتمعون، وفي هذا الصدد قال ابن خلدون في الفصل السابع والعشرين من مقدمته: "إن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين على الجملة".

ويحلل ابن خلدون السبب في ارتباط الملك بالدين عند العرب، فيقول: "والسبب في ذلك: أنهم لخلق التوحش الذي فيهم، أصعبُ الأمم انقياداً بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة؛ فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويُذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، تمَّ اجتماعهم، وحصل لهم التغلبُ والملك".[27]

---

[27] – مقدمة ابن خلدون، ص (153).

وقد انتدبهم الله لحمل دينه إلى العالمين، فالإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (آل عمران: 19).

والعدول عنه هو سبيل الهلاك الأبدي، قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (آل عمران: 85).

وكان فضل الله عليهم عظيماً بهذا الدين، فقد نقلهم به من الشرك إلى التوحيد، ومن الظلم إلى العدل، ومن الضلال إلى الهداية، فأصبحوا حاملي لواءه وجنده المخلصين، وفي هذا الصدد يقول غوستاف لوبون موضحاً فضل الإسلام عليهم أفراداً وجاعات: "ولقد أصاب مسيو ج. دو حيث قال: من فضل الإسلام زوالُ الأصنام والأنصاب من الدنيا، وتحريمُ القرابين البشرية، وأكلِ لحوم الإنسان، وحفظُ حقوق المرأة، وتقييدُ مبدأ تعدد الزوجات، وتنظيمُه مع عدم الوصول إلى الحق المطلق، وتوطيدُ أواصر الأسرة، وجعلُ الرقيق عضواً فيها، وفتحُ أبوابٍ كثيرة لتحريره، وتهذيبُ الطبائعِ العامة، ورفعُ مستواها بالصلاة والزكاة، وإيواءُ الغرباء، وتثقيفُ المشاعرِ بالعدلِ والإحسان، وتعليمُ أولياءِ الأمورِ أن عليهم من الواجبات ما على الرعية، وإقامةُ المجتمع على أسس منظمة، وإذا حدث أن وُجدَ جوْرٌ في الغالب، كما في أي مكانٍ آخر، وُجدَ في العدل الإلهي ما يخفف وطأتَه، وذلك

أن في رجاء الحياة الآخرة، حيثُ السعادةُ وحسن الثواب، سنداً لضحايا الدهر أو الظلم، وتلك هي بعض المحاسن التي تدلُّ في كل مكان على انتشار الإسلام في المجتمعات غير المتمدنة".[28]

الإيمان بالله فطرة إنسانية ... وهو يهب العربي الطمأنينة والراحة في صحراء الحياة[29]

[28] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (617).

[29] - مصدر الصورة: http://www.alukah.net/UserFiles/%D8%A5%D9%84%D9%87%D9%8A...%20(%D8%A8%D8%B7%D8%A7%D9%82%D8%A9%20%D8%A3%D8%AF%D8%A8%D9%8A%D8%A9).jpg

المبحث الثالث:

قدســـية المكان

مكة المكرمة وما حولها من ربوع الجزيرة العربية، وما يجاور الجزيرة من بلاد تدعى اليوم منطقة الشرق الأوسط هي أهم منطقة في العالم من الناحية الدينية والجغرافية والسياسية، وفيما يلي تفصيل ذلك:

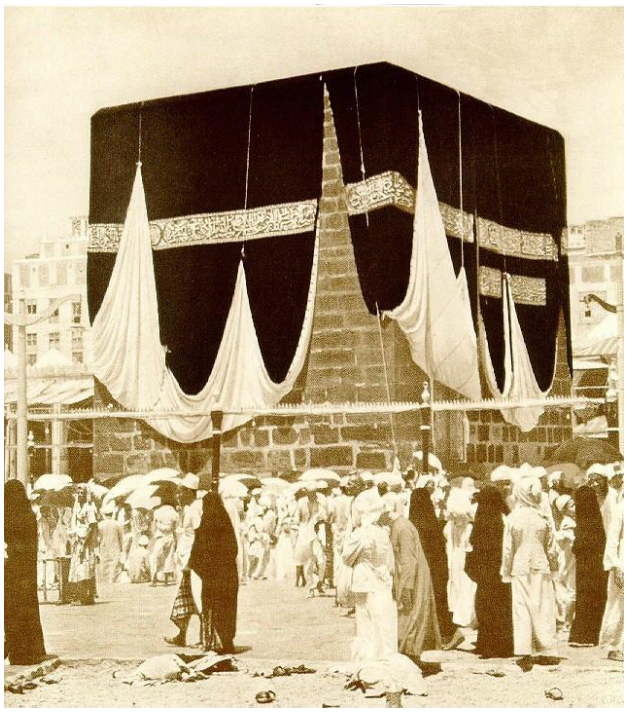

الكعبة المشرفة[30]

30 - مصدر الصورة: http://www.omaniyat.com/vb/imgcache/5659.png

أولاً: الحرم وما حوله

مما خص الله به العرب أن جعل مكة وهي أقدس بقعة في الدنيا في بلادهم، وجعلها مع ما حولها حرماً آمناً، والحرم مكان العبادة الآمن، قال تعالى: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) (آل عمران: بعض الآية97).

وكان العرب يجلون أمر اللجوءِ إليه، قال الزمخشري: "وكان الرجل لو جر كل جريرة، ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب"[31]، ولذلك صارت ساحة الحرم ملاذاً للناس، لما فيها من أمن وأمان، فهي حصينة كحصانة النجوم ومايحيط بها من فضاء، فأي عز لمن نزل فيها!؟.

ولما كانت مكة هي أماً للقرى، فقد اختار الله لها موقعاً مميزاً، فجعلها في قلب الجزيرة، بعيدة عن جيوش الروم والفرس، حتى تبقى آمنة من الغزو والسلب، فلما أراد طاغية من الحبشة أن يهدم كعبتها، ولم يكن لأهلها طاقة في دفعه تدخلت السماء للذود عنها، وقد تعهد الله بحمايتها بنفسه، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (الحج:25).

---

[31] - الكشاف (389/1).

وقد سماها الله بأسماء كثيرة، فهي مكة وبكة والبلد الحرام والبلد الأمين وأم القرى، ولكل من هذه الأسماء دلالته، والواجب على زائرها أن يحترم قدسيتها ولا يفرط بأمنها، ولا يعضد شجرها، ولا يقتل صيدها، فكل ما في الحرم فهو آمن.

وقد خصها الله تعالى بخصائص عدة، وموقع جغرافي مميز، فمن ذلك وجودها بين الجبال جعلها في مأمن من الزلازل ونحوها، وكون مكة قريبة من البحر، فلا تبعد عن جدة أكثر من ثمانين كيلو متراً، وهذا يسهل الوصول إليها عبر البر والبحر، ومناخ مكة حار في نصف العام ومعتدل في نصفه الآخر، وهذا الجو يتناسب مع ملابس الإحرام، وجعلها الله في واد غير ذي زرع، حتى يقصدها الحاج مخلصاً لله تعالى، ومكة بعيدة عن مراكز الحضارة في بلاد فارس والروم، وأهلها أميون، فكيف يعقل أن تخرج شريعة ذات قوانين تعلم الناس قواعد الحضارة والتعايش السلمي من قلب الصحراء؟ إنها النبوة ولا احتمال غير هذا، وإذا كانت مكة في بلد غير ذي زرع، فهذا قد يقتضي جوع أهلها، ولكن أنى يجوعوا وقد دعا لهم إبراهيم عليه السلام بالرزق، وأما ماء زمزم فهو الشفاء لكل داء بإذن الله تعالى، وهو أمر مجرب، وأخيراً فقد أثبت العلم الحديث أن مكة مركز للأرض، ولما كانت مركزاً استحقت أن تكون قبلة لأهلها أيضاً، وهذا من فضل الله على العالمين. [32]

[32] – انظر بحث (في الطريق إلى مكة)، مجلة كان التاريخية، العدد العاشر، ديسمبر 2000 على الرابط الآتي: /http://www.historicalkan.co.nr

مكة المكرمة قلب العالم[33]

ثانياً: مكة مركز الأرض

أثبت العلم الحديث أن مكة مركز الأرض، فالأرض في بداية الخلق كانت مغمورة بالماء، ثم تفجرت من قاع المحيط ثورة بركانية عنيفة ظلت تلقي بالحمم التي تراكم بعضها فوق بعض، مكونة سلسلة جبلية، وظلت هذه السلسة ترتفع حتى تكونت أعلى قمة فيها فوق سطح الماء مكونة أول جزء من اليابسة، وباستمرار النشاط البركاني نمت هذه الجزيرة البركانية الأولية بالتدريج بواسطة عملية الدحو ـ أي المد والبسط والإلقاء ـ والإضافة والنمو، حتى تكونت اليابسة على هيئة قارة واحدة عرفت باسم قارة بانجيا(Pangaea)، أو القارة الأم، ثم تمزقت هذه القارة بشبكة من الصدوع

[33] – المصدر: http://i50.servimg.com/u/f50/11/60/39/32/52344110.jpg

فكونت لنا القارات السبع المعروفة لنا اليوم، وقد دحا الله الأرض من مكة التي فيها أقدم بيت وضع للناس، واليابسة تحت الكعبة المشرفة تعتبر أقدم يابسة على سطح الأرض، كما تعتبر صخور جبال مكة أقدم صخور الأرض على الإطلاق[34]

ومما يؤيد ما ذهب إليه العلم قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا). (البقرة: 143). فهذه الأمة وسط في الشريعة والتكاليف، كما هي وسط في الدار والأعمار.

وبلد مثل مكة يتمتع بالخصائص الكثيرة التي ذكرنا بعضها آنفاً جدير بأن يُسمى أم القرى، وأن يكون مهداً لرسالة السماء، قال تعالى: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ). (الأنعام: 92).

[34] – انظر: مدخل إلى دراسة الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، للدكتور زغلول النجار، ص (297، و 404). نشر جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، 1430هـ/ 2009م.

المبحث الرابع

الوجهة الخالدة: الكعبة المشرفة

من نعم الله على العرب أن جعل بيته في قلب مكة!.. فصارت مكة كلها كأنها كعبة للمسلمين!.

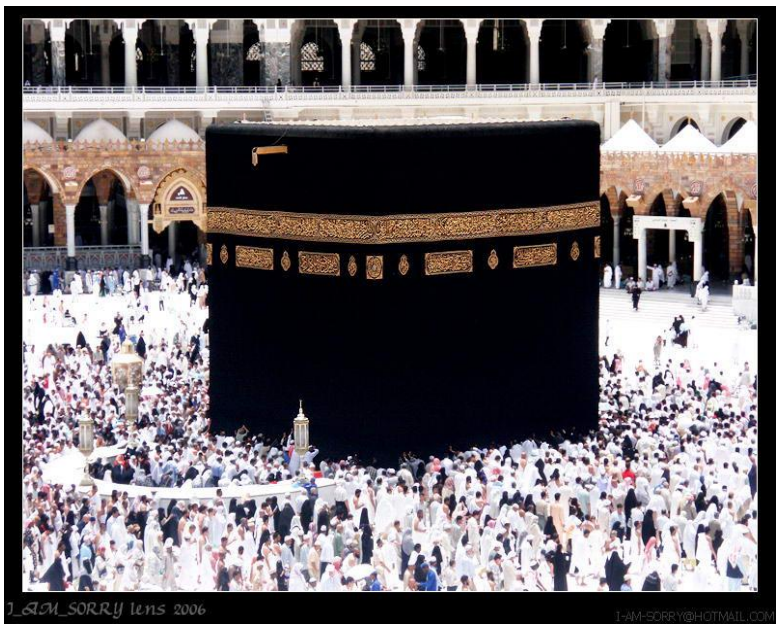

صورة الكعبة المشرفة[35]

والكعبة هي قبلة الأنبياء والمرسلين قبل النبي مُحَمَّد ﷺ، وأن تكون بيوت بعض المرسلين ومن معهم من الناس باتجاه القبلة فهذه مزية، قال تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا

[35] – المصدر: http://uploads.sedty.com/imagehosting/378008_1346778010.jpg

بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (سورة يونس: 87). والمعنى كما ذكر البغوي: "واجعلوا وجوه بيوتكم إلى القبلة، وروى ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه".[36]

وقد جعل الله تعالى الكعبة بمكة التي ولد فيها النبي مُحَمَّد ﷺ قبلة للعالمين؟! فكم من مصل يصلي باتجاه الكعبة!، وبيوت العرب حولها تكون أمامه؟! والصلاة لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً، فحين يصلي الفجر أهل المشرق يكون أهل المغرب قد صلوا العشاء، فالصلوات لا تنقطع دقيقة واحدة في هذا العالم، وكلها باتجاه الكعبة المشرفة التي رفع قواعدها إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ). (آل عمران: 95-97).

إن هذه الكعبة المشرفة هي للناس جميعاً، وهي بيت الله الحرام، وتعظيمها واجب، وهتك حرمتها من شيم أهل الكفروالنفاق، قال تعالى: (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (المائدة: 97).

---

[36] – مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (415). دار السلام، الرياض.

فطوبى للشعب العربي الذي رزقه الله سدانة هذه الكعبة، والتي يسلو المرء همومه حين يطوف حولها مناجياً لله رب العالمين!.

المبحث الخامس:

تميز البلد الأمين والحجاز والجزيرة العربية عموماً

يقصد بالبلد: مكة، وقد أقسم الله بها، قال تعالى: (لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ). (البلد : 1-2).

ومكة هي جزء من الحجاز الذي يضم المدينة أيضاً، وفيها حرم الرسول ﷺ.

والحجاز فيه غزوات النبي ﷺ وحروبه، فهو أكرم الأماكن في جزيرة العرب، ويليه بالفضل بلاد اليمن السعيد، ثم سائر الجزيرة العربية، فهي شبه حرم في فضلها، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج من حاربوه من أهل الكتاب من جزيرة العرب![37]

[37] – انظر: مشكاة المصابيح، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، (1186/2). بيد أن الشافعي "خص هذا الحكم بالحجاز دون غيره، وهو عنده مكة والمدينة واليمامة وأعمالها دون اليمن وغيره، وقالوا ـ أي العلماء ـ لا يمنع الكفار من التردد مسافرين في الحجاز ولا يمكنون من الإقامة فيه أكثر من ثلاثة أيام... وجوز أبو حنيفة دخولهم الحرم". مرقاة المفاتيح، للقاري، المكتبة الإمدادية، باكستان.

أولاً: صفة جزيرة العرب

جزيرة العرب[38]

تتميز جزيرة العرب بصحرائها الواسعة، وقلة أمطارها، وشدة حرارتها، وفي هذا الصدد يقول غوستاف لوبون: "جزيرة العرب هي مهد الإسلام، وهي منبت الدولة الواسعة التي أنشأها خلفاء مُحَمَّد، ويتألف القسم الأكبر من جزيرة العرب من صحارٍ، ويحيط بها البحر الأحمر من الغرب، وبحر

[38] - المصدر: http://www.ykuwait.net/vb/imgcache2013/ace258f3fd38c4ecc322645244430ecc.jpg

عمان والخليج (الفارسي) [39] من الشرق، والمحيط الهندي من الجنوب، وتتصل من أقصى غربها وشرقها بإفريقية وآسية... وتزيد مساحة جزيرة العرب على 3,000,000 كيلو متر مربع... ونحن إذا نظرنا إلى سطح جزيرة العرب رأيناه مؤلفاً من هضبة تشبه الصحراء الإفريقية في اتساعها، وسهولها القاحلة الرملية، أو الصخرية، تتخللها بقاع منبتة... ويقطع مجاهلَ جزيرة العرب الواسعة أوديةٌ، وبقاع جبلية ذات مدن وقرى يسكنها فريق من الزراع، ولا تعرف الصحراء غير أهلها البدو الذين يجوبونها... ويدوم المطر في جزيرة العرب بضعة أشهر على العموم، ومتى احتبس. عمَّ الخراب وأصبحت تلك البلاد غير صالحة للسكن تقريبا، ويقترن القحط في جزيرة العرب بريح السموم في الغالب، وريح السموم وعدم الماء أشد ما تقاسيه القوافل في جزيرة العرب من أخطار".[40]

وقد اشتغل العرب بالتجارة منذ القدم، وكان أهل مكة يرسلون تجارتهم إلى الشام صيفاً، واليمن شتاءً، كما ذكر ذلك ربنا عز وجل في سورة قريش التي تحدثت عن نعمة الله عليهم برحلة الشتاء والصيف!.

ثانياً: السكان

---

[39] – نتحفظ على استخدام بعض المستشرقين لفظ الفارسي بدلاً من العربي، فما تعلمناه هو أن أمة العرب حدودها من المحيط إلى الخليج، مع احترامنا الكامل للآخرين.

[40] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (39-40).

والعرب شعب واحد انتشر في الجزيرة وما حولها، فعن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – يقول: إن رجلا سأل النبي – ﷺ – عن سبأ، ما هو؟ رجل، أم امرأة، أم أرض؟قال: (هو رجل ولد عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم أربعة. فأما اليمانيون: فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير. وأما الشامية: فلخم، وجذام، وعاملة، وغسان). [41]

[41] – البداية والنهاية، لابن كثير، (147/2).

ثالثاً: حدود جزيرة العرب

تحيط البحار من ثلاث جهات بجزيرة العرب، فالخليج العربي من الشرق، وبحر عمان وبحر العرب من الجنوب، والبحر الأحمر من الغرب، ومن الشمال الشرقي الكوفة والبصرة، والفرات في الشمال إلى منطقة سلمية، إلى البلقاء من بلاد الشام كما ذكر النويري في نهاية الأرب، وتعتبر تدمر من بلاد العرب وضمن بواديها الممتدة في بلاد الشام.[42]

حدود جزيرة العرب[43]

رابعاً: ما يلحق بجزيرة العرب

[42] - انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للألوسي، (1/184-217)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.

[43] - المصدر: https://s-media-cache-ak0.pinimg.com/originals/d4/4a/f4/d44af4a4a23f691c8847a15b4f88047a.jpg

جزيرة العرب محاطة بالبحار من ثلاث جهات، وليس ثمة شيء يلحق بها إلا من جهة الشمال الشرقي والشمال عموماً، وتعتبر بادية الشام والعراق المتصلة ببادية الجزيرة العربية والممتدة حتى نهر الفرات تابعة لجزيرة العرب، وقد استوطنت القبائل العربية تلك البوادي من عهد تبع الحميري.

والشام امتداداً لبلاد العرب، فقد قال رسول الله ﷺ: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا) [44] ، وقد وصلت القبائل العربية المهاجرة قبل الإسلام حتى اليونان عابرة بلاد الشام.

وكذلك العراق، فهو وطن أبيهم النبي ابراهيم عليه السلام، وقد استوطنته بعض القبائل العربية من قديم، قال زهير في ذم الحرب والتحذير منها:[45]

فتغلكْ لكم ما لا تُغِلُّ لأهلِهـا

قرى بالعراق من قفيزٍ ودرهمِ

والمعنى كما قال الأصمعي: "أنها تغلُّ لكم دماً، وما يَكرهون وليست تُغلُّ لهم ما تُغلُّ قُرى في العراق، من قفيز ودرهم".

وأما بالنسبة لمصر، فهي تتلاقى مع آسيا من طرف سيناء، وصحراء سيناء امتداد للصحراء العربية، وقد استوطنت مصر بعض القبائل العربية من قديم، وتربط مصر مع العرب رابطة القرابة، لأن هاجر المصرية زوجة إبراهيم عليه السلام هي أم العرب، وقد تزوج الرسول منهم السيدة مارية القبطية

---

44 – رواه البخاري، انظر: مشكاة المصابيح، (1766/3)، الحديث (6262).

45 – شرح القصائد العشر، للتبريزي، بتحقيق د. قباوة، ص (184).

التي ولدت له ابنه إبراهيم، وفي الحديث: (إذا فُتحت مصرُ فاستوصوا بالقبطِ خيراً، فإنَّ لهم ذمةً ورحماً).[46]

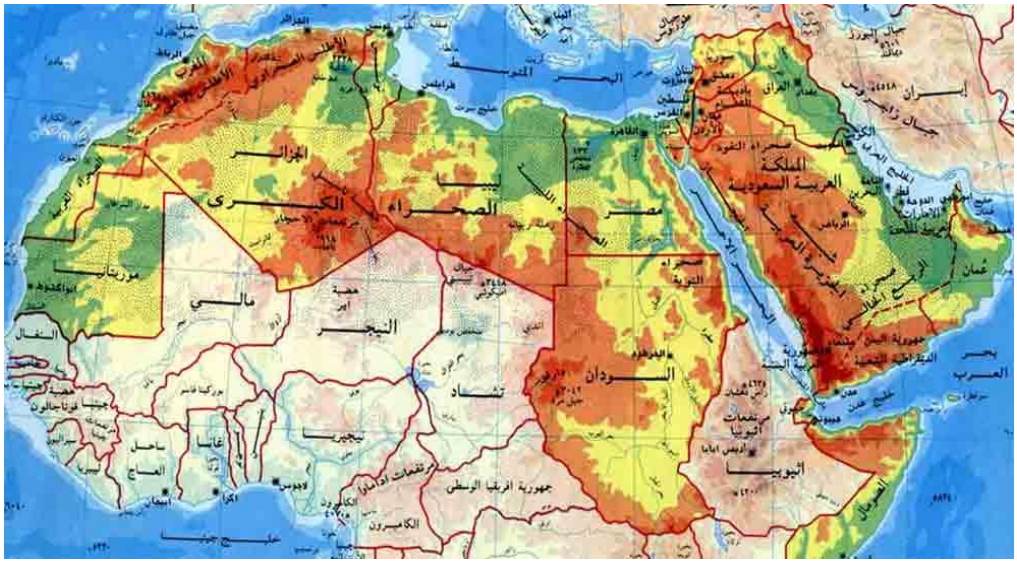

خريطة العالم العربي في العصر الحديث[47]

خامساً: المساجد الثلاثة في بلاد العرب

ومن إكرام الله للعرب أن جعل المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال في بلادهم، ففي الحديث: (لا تشدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجدٍ: مسجدِ الحرام، والمسجدِ الأقصى، ومسجدي هذا).[48]

---

46 – رواه الطبراني والحاكم عن كعب بن مالك، ورمز السيوطي لصحته، انظر: الجامع الصغير، (408/1)، الحديث (772).

47 – المصدر: http://www.4arb.com/wp-content/uploads/2014/09/HDK16576.jp

48 – متفق عليه عن أبي سعيد الخدري، انظر: مشكاة المصابيح، (219/1)، الحديث (693).

المسجد االنبوي: ثاني مسجد تشد إليه الرحال[49]

المسجد الأقصى: ثالث مسجد تشد إليه الرحال[50]

فالطريق إلى الله يبدأ بعمران بيوته، وأولى المساجد بالعمارة المادية من بناء ونحوه، ومعنوية من وجود متعبدين ومعتكفين، هي المساجد الثلاثة التي جعلها الله أمانة بيد العرب، وجعلهم سدنتها إلى يوم الدين!.

---

[49] – المصدر: http://media.kenanaonline.com/photos/1238071/1238071853/1238071853.jpg?1311678579

[50] – المصدر: https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/f/f7/Al-Aqsa_Mosque_(Temple_Mount,_Jerusalem,_2008)_01.jpg

المبحث السادس

خصوصية البيئة العربية

البيئة الطبيعية للجزيرة العربية هي بيئة صحراوية، قليلة الأمطار، ومن ثم قليلة النبات والثمرات، ولذلك يحس العربي بحاجة ماسة لمساعدة السماء له، فيدعو حتى يرزقه الله الماء والطعام، ومن ثم يقوم بأداء حق الله في الشكر والعبودية، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (إبراهيم: 37).

يلاحظ أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وصف البيئة بأنها مجدبة بلا زرع، وأنه وضع ذريته في ذاك المكان لهدفٍ سامٍ، وهو القيام بالعبودية والاستخلاف في الأرض، وحتى يتمكنوا من أداء الرسالة؛ طلب لهم المدد الإلهي من الناس القادمين ومن خيرات السماء!.

ويكاد ينطبق على معظم أرجاء الجزيرة العربية قول الشاعر عامر بن الحارث:[51]

---

[51] – أوضح المسالك، لابن هشام، بتحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، (261/2)، دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة، 1394هـ/ 1974م.

وبلـدةٍ ليس بها أنيسُ

إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ[52]

الجمل سفينة الصحراء[53]

[52] – اليعافير جمع يعفور، وهو ولد البقرة الوحشية، والعيس: جمع أعيس وعيساء، وهي الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة.

[53] – المصدر: http://www.moroujs.com/vb/imgupload/uploads//c5dfeb9742 3bc2d7c984d25f8390b715.jpg

غزال الريم[54]

فهي مسرح للظباء والغزلان والإبل بأنواعها!، والكثافة السكانية فيها قليلة، بل ربما تكون هي أقل نسبة فوق البسيطة.

وتنتشر بعض الواحات في الصحراء، إضافة إلى بعض العيون والآبار المتناثرة في مناطق شتى!.

[54] – المصدر:

http://www.saudiwildlife.com/site/uploads/animal/1317370598.jpg

وأما البيئة الثقافية فهي بيئة أمية وثنية، لها بعض الشعر والآداب والحكم، ولكنها بعيدة عن العلم والتوحيد، فأتم الله عليها نعمته ببعثة نبيه مُحَمَّد ﷺ، فتكاملت لديها أسباب العلم والمعرفة، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ). (الجمعة: 2).

النخلة.. شجرة طيبة في الصحراء[55]

ومن امتزاج البيئتين: الطبيعية والثقافية وجدت أمة العرب، محفوفة برعاية الله سبحانه وتعالى!، فقد ساعدهم المولى عز وجل على شظف العيش وفقر الطبيعة من جهة؛ حيث أمدهم بالثمرات تأتيهم من كل صوب، وانتشلهم من التخلف الفكري والضحالة الثقافية بنور الوحي وهدي النبوة، فكملت حياتهم، وسعدت معيشتهم، وأصبحوا سادة الدنيا وقادة البشرية، وصاروا جنساً فريداً في

[55] – المصدر:
http://www.raialyoum.com/wp-content/uploads/2014/07/516841.jpg

الحضارة والأخلاق، وفي هذا الصدد يقول الرافعي: "العرب هم جيل تدلت عليه الشمس منذ القدم في هذه الجزيرة التي كأنها قطعة انخزلت من السماء مع الإنسان الأول، فلا يزال أهلها أبعد الناس منزعاً في الحرية الطبيعية، وأشدهم منافسة في مغالبة الهمم، كأنما ذلك فيهم ميراث الطبيعة الأولى، فهم منه ينبتون وعليه يموتون. سكان الفيافي وتربية العراء، ينبسطون مع الشمس، ويفيئون مع الظل، ويطيرون في مهب الهواء، بل أولاد السماء، ما شئت من أنوف حَمية، وقلوب أبية، وطباع سيالة، وأذهان حِداد، ونفوس منكرة، وقد أصبحت بقاياهم الضاربة في بوادي العربية ومصر وسورية لهذا العهد، موضعَ العجب لأهل البحث من علماء الطبائع، حتى أجمعوا أنه لا ند لهذا الجنس في جميع السلائل البشرية، من حيث الصفات التي تتباين فيها أجناس البشر خَلقاً وخُلقاً... لا جرمَ كانوا أهل هذه اللغة المعجزة، التي ناسبتهم بأوضاعها في معاني التركيب، حتى كأنما كتب لها أن تكونَ دينَ الألسنة الفطري، لتصلح بعد ذلك أن تكون لسان دين الفطرة".[56]

[56] – تاريخ آداب العرب، (44/1).

بئر تقليدية في الصحراء[57]

ثعلب الصحراء[58]

[57] – المصدر: http://atmzab.net/images/photo/ajbad/ajb_14.jpg

[58] – المصدر:
http://mw2.google.com/mw-panoramio/photos/medium/2092022.jpg

المبحث السابع

قدسية الزمان: الأشهر الحرم

كما للمكان حرمة، فكذلك للزمان حرمة، فقد كان من معتقدهم تعظيم الأشهر الحرم، وهي أربعة: المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة، فكانوا يتحرجون فيها من القتال فيها، فهم أمة السلم والسلام! فإذا اضطروا للقتال فيها تلاعبوا بأسماء الشهور، وهو ما يسمى بالنسيء، ومعناه تأخير حرمة شهر إلى آخر، وهو ما نهاهم الله عنه، ودعاهم لالتزام حرمة الزمان كالتزامهم حرمة المكان، قال تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ، إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ). (التوبة: 36-37).

ويشرح الألوسي طريقة تلاعبهم بحرمة الشهور، فيقول: "ومعنى النسيء تأخير حرمة شهر إلى آخر. وأصله من نسأت الشيء إذا أخرته، فإنهم يعتقدون أن من الدين تعظيم الأشهر الحرم، وهي أربعة: المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة، فكانوا يتحرجون فيها من القتال، وكانت قبائل منهم

يستبيحونها، فإذا قاتلوا في شهر حرام، حرموا مكانه شهراً آخر من أشهر الحل، ويقولون: نسيء الشهر، فيستحلون المحرم ويحرمون صفراً، فإن احتاجوا أيضاً أحلوه وحرموا ربيعاً الأول، وهكذا كانوا يفعلون حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها، وكانوا يعتبرون في التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر المعلومة، وربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت، ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراماً أيضاً، ولذلك نص على على العدد المعين في الكتاب والسنة، وكان يختلف وقت حجهم لذلك".[59]

آية قرآنية حول الأشهر الحرم[60]

59 – بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (3/71-72).

60 – المصدر: http://3.bp.blogspot.com/xek0PgxiTdc/U_wPFjG6OPI/AAAAAAAACw4/dGPtqySIRoQ/s1600/image-761812.jpeg

المبحث الثامن

جذور التاريخ العـربي

يرى بعضهم أن العرب ولدوا ببعثة النبي مُحَمَّد ﷺ، ومن هؤلاء الدكتور عائض القرني الذي يقول في حديثه عن (العلم بين يدي العالم والمتعلم): "فيا أيها الأخوة .. كنا أمة عربية أمية لا نعرف شيئاً . رعاة غنم ، ورعاة إبل ، ورعاة بقر . فقد كنا أمة بلا معرفة ، أمة بلا ثقافة ، أمة بلا حضارة ، حتى أتى مُحَمَّد . ﷺ . فأحيا به الله القلوب .

تاريخُنا من رسولِ الله مبدأه

وما عـداه فلا ذكـر ولا شـأنُ

(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ). (الجمعة:2).

كان للرومان حضارة .. ولفارس ثقافة.. وللهنود معرفة .. أما نحن في الجزيرة .. فلا ثقافة ولا حضارة ولا معرفة .. فجاء ـ ﷺ ـ فسكب فينا روح لا إله إلا الله .. فاستيقظنا من نومنا وسباتنا العميق".[61]

ولا شك أن أصحاب هذا الرأي القائل بأن تاريخ هذه الأمة بدأ بالإسلام يريدون الإعلاء من شأن الإسلام ونبيه مُحَمَّد ﷺ، ونحن معهم في وجوب ذلك الإعلاء، ولكن الصواب جانبهم هنا، فإن كان المراد أن الإسلام بدأ بمحمد ﷺ فهذا غلط، لأن جميع الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ كانوا مسلمين. وإن كان المقصود أمة العرب بدأت بالإسلام... فهذا مخالف للحقيقة، فالعرب أمة ضاربة جذورها في أعماق التاريخ، وكان لها حضارات في اليمن وعمان وأطراف الجزيرة، وهم أمة ترجع أصولها إلى عهد إبراهيم عليه السلام.

ثم إن العرب لو لم يكن فيهم من الفضائل ما يؤهلهم لحمل الدعوة لما حملهم الله إياها، قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آَيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ). (الأنعام: 124). فالله قد جعل الرسالة عند الشخص المناسب في القوم المناسبين لها في البلد المناسب، فتبارك الله أحكم الحاكمين!.

---

[61] – انظر الرابط:

http://www.algarne.com/publish/printer_219.shtml

والغض من العرب بقصد رفع الإسلام هو غض من الإسلام ذاته، وهو ديدن الشعوبية وأعداء الدين في كل حين، ولذلك ينبغي أن لا يقع في هذا بعض أهل الدعوة والصالحين عن حسن نية وغفلة أحياناً، لأن العرب مادة الإسلام وجنده، اختارهم الله ليكونوا حملة رسالته للعالمين، فأصلحهم وسددهم بهذا الدين، وجعلهم هداة مهتدين، ثم جعلهم بعد ذلك أئمة العالمين.

لقد كانوا كالأسود الخادرة التي أيقظها الإسلام ودفعها تنتشر في مشارق الأرض ومغاربها، حاملةً لواء الحق والتوحيد.. كان لديهم الحس الديني.. والحس البياني.. والذكاء الفطري.. والشجاعة النفسية... وفاقد الشيء لا يعطيه كما يقول الفقهاء، فلو كانوا فاقدين لكل الصفات الفاضلة لما أمكن إصلاحهم والاعتماد عليهم جنداً لهذا الدين العظيم.

فالحقيقة أن تاريخنا يبدأ من إبراهيم عليه السلام، قال تعالى يحكي قصة بناء الكعبة، ودعاء إبراهيم لذريته بأن يبعث الله فيهم نبياً، واستجابة الله لدعائه، وتواصل الخلف مع السلف، وتناغم الآخر مع الأول في ركب الدعوة وسفينة التوحيد من لدن إبراهيم عليه السلام وصولاً إلى مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ

اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) قُولُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136) فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138) قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (البقرة: 127-141).

وكان للعرب تواريخ عدة قبل الإسلام، وأما بعد الإسلام فقد اتفقوا أن يبدأ التاريخ بالهجرة النبوية، لأنها الفيصل بين عهدين، ومبدأ عزة الإسلام، قال الألوسي نقلاً ملخصاً عن الصولي:"فأما العرب

فكانوا يؤرخون بالنجوم قديماً، وهو أصل، ومنه صار الكتاب يقولون: نجمت على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم، وأنجمة جمع نجوم، والعرب تخص بالنجم الثريا... وكانت العرب تؤرخ بكل عام يكون فيه أمر مشهور متعارف، فأرخوا بعام الفيل، وفيه ولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم... وأرخت العرب بعام الحُنان لأنهم تماوتوا فيه، وعظم عندهم أمره... وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي لجلالته فيهم ... وروي عن الزهري والشعبي أن بني إسماعيل أرخوا من نار إبراهيم عليه السلام إلى بنائه البيت حين بناه مع إسماعيل، وإن بني إسماعيل أرخوا من بنيان البيت إلى تفرق معد، (فكان كلما خرج قوم أرخوا بمخرجهم، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بني زيد من تهامة) ثم كانوا يؤرخون بشيء شيء إلى موت كعب بن لؤي، ثم أرخوا بعام الفيل، إلى أن أرخ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان سبب ذلك أن أبا موسى كتب إليه: إنه يأتينا من أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ، فلا ندري على أيها نعمل!".[62]

62 - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (3/214-215).

تاريخنا منقوش على الحجر[63]

[63] – المصدر:

http://www.faifaonline.net/faifa/contents/useruppic/04f80b520e2831.jpg

المبحث التاسع

النشـاط العقلي لدى لمن هم من أذكى الأمم

العرب هم من أذكى الأمم، وأعمقها فكراً، وأصدقها حدساً، وأكثرها خيالاً، وأعمقها تجربة، وأوعاها في فهم فلسفة الكون والحياة.

أتاهم الإسلام فلبوا، وخلال ثلاثٍ وعشرين سنة هي عمر الرسالة المحمدية تغيروا وغيروا، وأحدث الإسلام فيهم ثورة فكرية وزلزلاً شعورياً وانقلاباً واقعياً.

وأما ما جاء في الذكر الحكيم من وصف الكفرة منهم بتعطيل الحواس، حتى كأنهم بهائم! كما قال تعالى: (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا). (الفرقان: 44)، فليس هذا لأن الكفرة أغبياء، وإنما هم مرضى نفسياً، فقد كانوا في بعض الأحيان يقرون بنبوة مُحَمَّد ﷺ، كما قال تعالى: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ). (سورة الأنعام: 33). وسبب مرضهم التنافس والحسد، فقد "التقى الأخنسُ بن شُريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم! أخبرني عن مُحَمَّد بن عبد الله أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هاهنا أحد يسمع كلامك غيري. قال أبو جهل: والله إن

مُحَمَّداً لصادق، وما كذب مُحَمَّد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟! فأنزل الله هذه الآية".[64]

وقد رد الله المشركين إلى عقولهم، طالباً منهم أن يتفكروا ويتأملوا، حتى يبصروا أن مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم فوق كل شبهاتهم واتهاماتهم له بالجنون والسحر ونحو ذلك، فعقولهم لو استخدموها بموضوعية وشفافية، لوصلوا إلى الحق، بيد أن أهواءهم غلبت عقولهم، فضلوا وأضلوا، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ). (سبأ: 46).

إذاً الدعوة الإسلامية قائمة أساساً على العقل السليم والفكر القويم، ولا يوجد تناقض بين نصوص الكتاب والسنة والعقل أبدا، لذا ينبغي على العقل أن يخضع لنور الوحي الذي يرشده إلى مصلحة الدنيا والآخرة، حيث "إن العقل الرجيح، يلزم صاحبه بالتمسك بهذا الدين الإسلامي، لأنه دين كامل صحيح، وهو غاية بغية العقل الرجيح، كما روي عنه ﷺ: (رأس العقل بعد الإيمان بالله: الحياء وحسن الخلق)، لأن الإسلام هو الدين المحكم، وهو المعقول المبرم، قال الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). (يوسف: 2). أي تعقلون معانيه، وأوامره ومناهيه، فتعلمون يقينا أنه لا يأمركم إلا بما هو خير لكم، ولا ينهاكم إلا عما هو شر لكم، كما قال ابن مسعود: إذا سمعت الله

64 - مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (260).

يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فأرعها سمعك، فكل من استمع إلى هذا الدين، وعقله، ووعاه، وفهمه، لا بد أن يسلم له، ويستسلم إليه. ولما دخل الأعرابي الفطري العاقل على رسول الله ﷺ، وبين له ﷺ أوامر الإسلام ومناهيه، فخرج الأعرابي وأعلن إسلامه، فقال له قومه: بم عرفت أنه رسول الله؟ فقال الأعرابي: ما أمر مُحَمَّد ﷺ بأمر قال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال: ليته أمر به".[65]

وقد وعى علماء العربية وشعراؤها أهمية العقل، حتى تحدثوا عنه شعراً، وجعلوه في المقام الأول بين الفضائل، وقدموه على الشجاعة التي هي أخص خصائص النفس العربية، ومن أفضل ما قيل في شرف العقل قول المتنبي:[66]

الرأيُ قبلَ شجاعةِ الشجعـانِ

هـو أولٌ وهْي المحلُّ الثاني

فإذا هما اجتمعـا لنفسٍ مِرَّةٍ

بلغتْ من العليـاءِ كلَّ مكـانِ[67]

ولربمـا طعـنَ الفتى أقرانَهُ

بالرأيِ قبلَ تطـاعنِ الأقرانِ

---

65 – سيدنا مُحَمَّد رسول الله، شمائله الحميدة وخصاله المجيدة، عبد الله سراج الدين، ص (75).

66 – مختارات البارودي، (69/2).

67 – مِرَّة: قوية.

لولا العقول لكان أدنى ضيغمٍ

أدنى إلى شرفٍ من الإنسـانِ

وقد كان من ثمار الوشائج القوية بين الدين والعقل أن قامت نهضة علمية في الشرق، كانت أساساً لنهضة علومنا في العصر الحديث، ولتمدن البشرية وتطورها في القرون الأخيرة، وهي جهود شهد لها العلماء والباحثون المنصفون في المشرق والمغرب، فتحت عنوان: (كتب تصنع التاريخ) تقول زيغريد هونكة "هذه المعارف المبتكرة العظيمة الشأن... هذه التحقيقات العلمية الرائعة التي قدمتها العبقرية العربية هدية منها للإنسانية عامة، ولأوروبة خاصة، كالأرقام العربية، وعلم الجبر العربي، والإسطرلابات العربية... من اعتبر مصدرها؟ ومن أرجع فضلها إلى صانعيها؟ بل كان الأمر على العكس تماماً، فإن أغلب الاكتشافات العربية حملت معها وما تزال تحمل حتى يومنا هذا أسماء إنكليزية أو إفرنسية أو ألمانية".[68]

[68] – شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ص (383) دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1400هـ/ 1980م..

المبحث العاشر

علـوم العرب الأوائل

كان العرب في البداية على دين إبراهيم عليه السلام، ثم زاغت بصائرهم، وتخلخل بنيانهم المعرفي والعقدي، بعد أن عبدوا الأوثان التي استقدمها عمرو بن لحي من بلاد الشام، حيث رآهم يعبدونها "فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟. قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً، فأسير به إلى أرض العرب، فيعبدوه؟. فأعطوه صنماً يقال له: هُبَل. فقدم به مكة، فنصبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه".[69]

إذاً لم يكن لجل العرب معرفة صحيحة بالدين بعد أن عبدوا الأوثان، ولذلك كانت الرسالة المحمدية ضرورة للتصحيح والتنوير، قال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ). (السجدة: 3).

ولم يكن للقوم كتاب معرفي يقتبسون منه العلوم، وقد أثبت القرآن هذا الأمر عند جدالهم، قال تعالى: (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ، إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) (القلم: 37-38).

---

[69] – السيرة النبوية، لابن هشام، (101/1).

وفيما سوى المعرفة الدينية، كانت لهم معرفة فطرية بالفصاحة والبيان، ومعرفة محدودة بالوقائع والأيام، والطبيعة والنجوم، والفيافي والمياه، والقيافة والفراسة، والطب والسحر، والرقى والكهانة، وغير ذلك ... وهي علوم ضرورية لمن يعيش في الصحراء منهم من أهل الوبر، ممن يفترشون الرمال ويلتحفون السماء، كما هي ضرورية لأهل المدر منهم الذين تسير قوافلهم عبر الصحراء.

قيافة الأثر[70]

وعن مجمل العلوم العربية يقول الألوسي في وصف حالة العرب العلمية بين الجاهلية والإسلام: "إن العرب لما كانوا أتم الناس عقولاً وأحلاماً، وأطلقهم ألسنة، وأوفرهم أفهاماً، استتبع ذلك لهم كل فضيلة، وأورثهم كل منقبة جليلة، فإن العقل المشرق في الإنسان يحصل عنه العلم والمعرفة، والدراية والحكمة والذكاء، والذهن والفهم والفطنة، وجودة الخاطر وجودة الفهم، والتخيل والبداهة والكيس، والخير وإصابة الظن، والفراسة والزكانة والكهانة والعرافة، والإلهام ودقة النظر والرأي، والتدبير وصحة

[70] – المصدر: http://www.saqaf.com/pic/human-tracking.jpg

الفكر وجودة الذكر، وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة، وسائر الأخلاق المحمودة والأعمال الممدوحة، ولكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير، معطلة عن فعله، ليس عندهم علم منزل من السماء، ولا شريعة موروثة عن نبي، ولا هم أيضاً مشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضة، كالطب والحساب ونحوهما، إنما علمهم ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب، أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم، أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء والنجوم، أو من الحروب ونحو ذلك ... فلما بعث الله مُحَمَّدا ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ بالهدى لذي جعله علماً في الأرض، ولا يجعل أجلَّ منه وأعظم قدراً، وتلقوه عنه بعد مجاهدته الشديدة لهم، ومعالجتهم عن نقلهم عن تلك العادات الجاهلية. والظلمات الكفرية التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها. فلما تلقوا عنه ذلك الهدى العظيم زالت تلك الريون عن قلوبهم، واستنارت بهدايته، فأخذوا هذا الهدى العظيم. لتلك الفطرة الحميدة، فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم، والكمال الذي أنزله الله إليهم، فهم بمنزلة أرض جيدة في نفسها لكنها معطلة عن الحرث، أو قد نبت فيها شجر العضاه والعوسج، وصارت مأوى الخنازير والسباع، فإذا طهرت عن المؤذي من الشجر والدواب، وازدرع فيها أفضل الحبوب أو الثمار، جاء فيها من الحرث ما لا يوصف مثله، فصار السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله تعالى بعد الأنبياء، وصار أفضل الناس بعدهم من اتبعهم بإحسان من العرب والعجم بمقتضى الشريعة الغراء".[71]

71 – بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (1/146-147).

المبحث الحادي عشر:

قيثارةُ الخلود: اللغة العربية

اللغة العربية وما أعظمها من لغة!، إنها لغة الجمال والجلال والكمال... لغة الدقة والأصالة والمعرفة... لغة الخلود التي احتضنت الكتاب الخالد، وكفاها فضلاً أنها اللغة التي اختار الله أن ينزل بها نداءه الأخير للإنسان يهديه ويقومه، قال تعالى: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). (يوسف: 1-2).

فضيلة اللغة العربية[72]

أولاً: اللغة السماوية: اللغة العربية

لقد كان القرآن معجزة الرسول ﷺ الأولى آية في سحر الفكر والبيان، هز الله به قلوب العرب من خلال الكلمة القرآنية، وأنشأهم خلقاً جديداً وكأنهم ولدوا مع هذا الدين، وفي هذا

[72] – المصدر: http://www.dawahskills.com/ar/wp-content/uploads/2013/07/8450c65.jpg

الصدد يقول الرافعي: "تلك سياسة هذا القرآن، جمع العرب لمذهب الأقدار وتصاريف الريح، رأى ألسنتهم تقود أرواحهم، فقادهم من ألسنتهم، وبذلك نزل منهم منزلة الفطرة الغالبة التي تستبد بالتكوين العقلي في كل أمة، فتجعل الأمة كأنما تحمل من هذا العقل مفتاح هذا الباب الذي تلج منه إلى مستقبلها".[73]

وقد صارت اللغة العربية بعد القرآن لغة سماوية مقدسة، يخدمها العلماء من كل الشعوب، ويعتبرون خدمتها قربة إلى الله تعالى، فدونت ألفاظها، ودرس نحوها وصرفها، وبيانها وأدبها، وبلاغتها ونقدها، حتى صارت علومها ثلاثة عشر علماً هي: "الصرف والإعراب ويجمعهما اسم النحو، والرسم، والمعاني، والبيان، والبديع، والعروض، والقوافي، وقرض الشعر، والإنشاء، والخطابة، وتاريخ الأدب، ومتن اللغة".[74]

ولم تزل خدمة العربية قائمة في كل عصر وجيل، فهذا يؤلف كتاباً مبسوطاً، وذاك يؤلف كتاباً موجزاً، وثالث يعرب القرآن ... كل هذا من أجل ربط الأجيال الناشئة بالقرآن الكريم، وذلك بما يلائم ثقافة كل جيل وبيئة في كل زمان ومكان.

---

[73] – تاريخ آداب العرب، (83/2).

[74] – جامع الدروس العربية، للغلاييني، (8/1)، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة (33).

وتعتبر اللغة العربية رابطة بين كل من ينطق بها، فكل من تعلمها صار عربيا بغض النظر عن جنسه ولونه ووطنه ودينه، وبهذا تعتبر هي اللغة الوحيدة التي تفتح ذراعيها للعالم، مما يعبر عن إنسانية الثقافة العربية وإنسانية المجتمع العربي، جاء في الحديث: (**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الرَّبَّ رَبٌّ وَاحِدٌ وَالأَبَ أَبٌ وَاحِدٌ ، وَلَيْسَتِ الْعَرَبِيَّةُ بِأَحَدِكُمْ مِنْ أَبٍ وَلا أُمٍّ وَإِنَّمَا هِيَ لِسَانٌ ، فَمَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ فَهُوَ عَرَبِي**)[75].

ثانياً: من خصائص اللغة العربية

وللعربية فقه خاص بها، وخصائص لا يشركها بها غيرها من اللغات، وهي مبثوثة في كتب فقه اللغة، وكتب علم اللغة، فمن هذه الخصائص:

أولاً – مقاييس اللغة الفصحى: اصطنع العرب لغة قريش للتفنن في القول والإبانة والتعبير، وأهم مزية للغة العربية عزلتها عن الشعوب الأعجمية.

---

[75] – حديث ضعيف رواه ابن عساكر، ولكن معناه ليس ببعيد، بل هو صحيح من بعض الوجوه كما ذكر ابن تيمية وغيره، انظر الرابطين:

http://library.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?hflag=1&bk_no=1169&pid=868033

http://www.ibnamin.com/arab_superiority.htm

ثانياً- ظاهرة الإعراب: وهي من خصائص اللغة العربية وأشدها وضوحاً، قال ابن فارس: "فأما الإعراب فبه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين".

ثالثاً- مناسبة حروف العربية لمعانيها: فكل حرف يستقل ببيان معنى خاص مادام يستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظل وإشعاع، إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع، مثل: خضم: لأكل الرطب والبطيخ. وقضم: للصلب واليابس.

رابعاً – المناسبة الوضعية وأنواع الاشتقاق: يُدرس الاشتقاق في ظلال دلالته الوضعية على أنه توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد يحدد معناها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثل ما يوحي بمعناها الخاص الجديد.

خامساً – النحت أو (الاشتقاق الكُبَّار): معنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ، مثل: حيعل الرجل: حي على ..

سادساً – الأصوات العربية وثبات أصولها: إن حروفنا العربية محفوظة الأصول معروفة الأنساب، وكان علماؤنا رواداً لعلم الأصوات اللغوية.

سابعاً – اتساع العربية في التعبير: فهي أوسع اللغات ثروة، والمهجور من استعمالها كتب له البقاء، وقد جمع أحدهم للأسد (500)اسم، وللحية (200) اسم.

ثامناً – تعريب الدخيل: إن مقدرة لغة ما على تمثل الكلام الأجنبي تعد مزية لها، إذا صاغته على أوزانها، والعربية تتبادل التأثير والتأثر، وتقرض وتقترض.

تاسعاً – صيغ العربية وأوزانها: في العربية ظاهرتان متعاكستان، وهما: ظاهرة الحركة الاشتقاقية فيما تلده وتحييه. وظاهرة الصياغة القالبية فيما تسبكه وتبنيه، والمقصود بها: كثرة الأبنية والصيغ التي تعوض بأوزانها المتناسقة أجمل آيات الاشتقاق والتوليد.

عاشراً – العربية في العصر الحديث: هي لغة مرنة متطورة، وما أصابها من قصور في العصر الحديث فهو بسبب الباحثين لا بسبب اللغة نفسها، ويجب أن تتضافر الجهود من أجل نهضة لغوية شاملة.[76]

ثالثاً: مكانة العربية بين اللغات

[76] – انظر فصل: (خصائص العربية الفصحى) في كتاب دراسات في فقه اللغة، للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة.

أولاً– العربية من أقدم اللغات، وأقواها أصالة، وأوسعها تعبيراً.

ثانياً– يعتبرها البعض عن طريق التأثيل والترسيس فوق اللغات الإنسانية قاطبة، فهي أم اللغات الآريات، لا الساميات والحاميات فحسب.

ثالثاً – تفاعلت اللغة العربية مع اللغات الأخرى وأقرضتها أكثر مما اقترضت، فمجموع ما اقتبسته لا يتجاوز ثلاث آلاف كلمة.

رابعاً – العربية لغة القرآن الكريم، ولغة التراث العربي[77]

رابعاً: مأساة الإعراض عن العربية

ومن العجب أن لغة كهذه ينبذها أهلها، ويتعلمون باللغات الأجنبية! وما هذا إلا خسف ومسخ فكري وقع به ضعاف العقل والانتماء لهذا الدين، ومهزوزي الولاء لهذه الأمة العظيمة وتراثها

[77] – انظر: المرجع السابق.

الفكر وإرثها الحضاري التليد، مما حدا بالشاعر حافظ إبراهيم أن يؤلف هذه القصيدة على لسان اللغة العربية، وفيها يقول:[78]

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاتي

ونـاديتُ قـومي فاحتسـبتُ حياتي[79]

رموني بعقـم في الشـباب وليتني

عقمتُ فلـم أجزعْ لقـول عَداتي

وَلدتُ فلمـا لم أجد لعرائســي

رجـالاً وأكفاءً وأدتُ بناتــي[80]

وســعتُ كتاب الله لفظاً وغـايةً

وما ضقتُ عن آيٍ بـه وعِظـاتِ

فكيفَ أضيقُ اليومَ عن وصفِ آلـةٍ

وتنســيقِ أسـماءٍ لمخترعاتِ

أنا البحـرُ في أحشـائهِ الدرُّ كامنٌ

فهل سـألوا الغواصَ عن صدفاتي[81]

---

[78] – شرح ديوان حافظ إبراهيم، تعليق د. يحيى شامي، ص (90-92)، دار الفكر العربي، بيروت.

[79] – الحصاة: العقل والرزانة والرأي، وحصاة اللسان طلاقته. انظر: المعجم الوسيط، مادة (حصا).

[80] – العرائس: كناية عن الألفاظ.

[81] – الدر والصدفات: كناية عن ألفاظ العربية ومعانيها وأساليبها وأنماطها.

فيا ويحكمْ أبلى وتبلى محاسني

ومنكمْ وإن عزَّ الدواءُ أساتي[82]

فلا تكلوني للزمانِ فإنني

أخافُ عليكم أنْ تحينَ وفاتي

أرى لرجالِ الغربِ عزاً ومنعةً

وكمْ عزَّ أقوامٌ بعزِّ لُغاتِ

أتوا أهلهمُ بالمعجزاتِ تفنناً

فيا ليتكمْ تأتونَ بالكلماتِ

أيطربكمْ من جانبِ الغربِ ناعبٌ

يُنادي بوأدي في ربيعِ حياتي[83]

ولو تزجرونَ الطيرَ يوماً عَلمتمُ

بما تحتَه من عَثرةٍ وشَتاتِ[84]

سقى اللهُ في بطنِ الجزيرةِ أعظُماً

يَعزُّ عليها أنْ تلينَ قَناتي

حفظنَ وِدادي في البلى وحفظتهُ

---

[82] – الأساة: الأطباء.

[83] – الناعب: الصوت الزاجر بالويل والخراب.

[84] – زجر الطير: ضربها بالحصى لتميل يمنة أو يسرة؛ فيتشاءم بها أو يتفاءل. الشتات: الفرقة.

لهـنَّ بقلبٍ دائمِ الحَســـراتِ

وفاخرتُ أهلَ الغربِ والشرقُ مُطرقٌ

حياءً بتلكَ الأعظـــمِ النَّخِراتِ

أرى كلَّ يومٍ بالجـــرائدِ مَزلقاً

منَ القبـــر يُدنيني بغير أناةِ

وأســمعُ للكتاب في مصر ضجةً

فأعلـــم أن الصائحينَ نُعاتي

أيهجرني قومـــي عفا الله عنهمُ

إلى لغـــةٍ لم تتصلْ برواةِ

سـرتْ لوثةُ الافرنجِ فيها كما سرى

لُعابُ الأفاعي في مســيلِ فُرات[85]

فجاءتْ كثوبٍ ضمَّ سـبعينَ رُقعةً

مُشـــكلةَ الألوانِ مُختلفاتِ

إلى معشــرِ الكتاب والجمعُ حافلٌ

بســطتُ رجائي بعدَ بَسط شَكاتي

فإمـــا حياةٌ تبعثُ الميتَ في البلى

---

[85] – لوثة الإفرنج: كناية عن ألفاظها المستعملة في العربية.

وتُبنتُ في تلك الرُّموسِ رُفــاتي[86]

وإما مماتٌ لا قيامـــــةَ بعدَهُ

مماتٌ لعَمْــري لم يُقسْ بمَمــاتِ

إن عز العرب هو في الجمع بين الأصالة والمعاصرة، ولا أصالة إلا باعتماد العربية لغة أولى للعلم والتعليم والثقافة والحياة، وهذا هو شأن الأمم الراقية اليوم في مشارق الأرض ومغاربها، تتعلم بلغاتها القومية، ثم تلم باللغات الأجنبية الأخرى بغية التواصل مع الآخرين.

[86] – الرموس: القبور، جمع رمس.

المبحث الثاني عشر:

المعلقات: قبس من الأدب الخالد

العرب أمة الشعر الغنائي العذب، ينساب على شفاههم كانسياب الماء العذب الفرات فيجداول الربيع، فيحملونه مشاعرهم وهمومهم، وحبهم ونجواهم، وآمالهم وآلامهم، وحكمهم ومآثرهم، وواقعهم والطبيعة من حولهم فالشعر هو ديوان العرب كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.[87]

أولاً: قيمة الشعر عند العرب

كان للعرب أسواق جمعت بين التجارة والأدب، فهي تبدو كمحافل اقتصادية وثقافية في آنٍ واحد، وقد اختاروا من قصائدهم سبعاً وقيل عشراً سميت بالمعلقات، ويقال: إنهم علقوها على الكعبة لما لها من تعظيم في نفوسهم، يشبه تقديس الأصنام التي عبدوها، وعن هذه المعلقات يقول غوستاف لوبون: "وكان من عبادة العرب للشعر ما أقاموا معه، قبل مُحَمَّد بعدة قرون، مؤتمرات أدبية يقصدونها من جميع نواحي جزيرة العرب، وكانت هذه المؤتمرات تقوم في مدينة عكاظ الصغيرة القريبة من الطائف والبعيدة من مكة مسافة ثلاثة أيام، وكانت القصائد التي تنال الحظوة فيها تكتب بحروف من ذهب على نسائج ثمينة، وتعلق في الكعبة بمكة لتنقل إلى الأعقاب... وانتهت إلينا

[87] – انظر: العمدة في صناعة الشعر ونقده، للقيرواني، تحقيق د. مفيد مُحَمَّد قميحة، (23/1). دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/ 1983م.

المعلقات السبع بفضل حفظ أهم أشعار العرب في الكعبة، ويُرى في المعلقات السبع وصف لحروب العرب ولحياة البادية الجافية القاسية، ولمغامرات الأعراب...".[88]

ثانياً: شعب من الشعراء

كان لولع العرب بالشعر تأثير بالغ في حياتهم كلها، فقد أصبحوا جميعهم شعراء بالفطرة، وفي هذا السياق تقول زيغريد هونكة تحت عنوان (شعب من الشعراء): "واستطاعت القصيدة الرائعة دائماً أن تحقق المعجزات لدى شعب جعل من الشعر لغة التخاطب، فأجاده الفلاح إجادة المتعلمين، ونظمته الأميرات والخادمات على حد سواء، وانسابت روائع القصائد من شفاه الجميع دون مشقة أو جهد، صياد السمك يتغنى بالأشعار، والعامل البسيط يشغل وقت فراغه بنظم الشعر، والفلاح يرتجله وهو يسير خلف محراثه... وبين هذا الشعب الذي أَلِف أطفاله نظم الشعر، يصعب علينا اليوم أن نتحدث عن شعرائهم، فالكل شاعر يقرض الشعر ويرتجله، وجميع الملوك والوزراء ورجال الدولة والبلاد، ورجال السيف والقلم، قد نظموا الشعر وتغنوا به. وحين نتحدث عن شعب من الشعراء، لا بد لنا أن نذكر الشعب العربي قبل الإسلام، والشعب العربي في الأندلس، فإنه ـ هنا وهناك ـ جعل من الشعر المرتجل لغة ثانية للتفاهم والمعاملة، أعانهم على ذلك سهولة اللغة العربية في الوزن والقافية".[89]

---

[88] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (446).

[89] – شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ص (506-507) .

ثالثاً: نظام القصيدة العربية

يقوم نظام القصيدة العربية ـ كما ذكر ابن قتيبة ـ غالباً كالآتي:

أولاً – تبدأ القصيدة بذكر الديار والدمن والآثار ، فتجد الشاعر قد بكى وشكا، وخاطب الربع واستوقف، ليجعل من ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين ـ المرتحلين ـ عنها.

ثانياً – وصل ذلك بالنسيب ، فيذكر الشاعر شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ... ليُميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ، ويستدعي به أصغاءَ الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس... لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام .

ثالثاً – فإذا علم الشاعر أنه استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصَب والسهر وسُرى الليل، وحر الهجير وإنضاءَ الراحلة.

رابعاً – فإذا علم أنه أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في السير إليه، بدأ في المديح فبعثه على المكافأة، وهزه للسماح، وفضّله على الأشباه.

فالشاعر المجيد . كما يقول ابن قتيبة . من سلك هذه الأساليب وعدل من الأقسام، ولم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيملّ السامع ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد.[90]

رابعاً: **أغراض القصيدة العربية**

والأغراض التي طرقتها القصيدة العربية متعددة، من أهمها : وصف الأطلال – الغزل . وصف الراحلة والرحلة – وصف الطبيعة – الحماسة - الحكمة الفخر – المدح – الرثاء – الهجاء.

وفي العصر الحديث اقتصر البارودي في اختياراته الشعرية على سبعة أبواب هي: الأدب ، المديح، الرثاء، الصفات، النسيب، الهجاء، الزهد[91]

خامساً: عمود الشعر

يمثل عمود الشعر المواصفات التي ينبغي تحققها في القصيدة لكي تروج في سوق الرواية والأدب، وهو قريب مما نسميه اليوم بالمضمون الفني للقصيدة العربية، وكان أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (370هـ) أول من تحدث عن عمود الشعر، ثم عقبه القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 392هـ)، فطور هذه النظرية، ثم جاء المرزوقي (ت 421هـ) فطور . في مقدمة شرحه

---

[90] – انظر: الشعر والشعراء، راجعه مُحَمَّد عبد المنعم العريان، ص (31).

[91] – انظر: مختارات البارودي، (3/1).

على حماسة أبي تمام. ما ذكره الآمدي والجرجاني، لتصبح نظرية عمود الشعر محددة بالنقاط الآتية: [92]

1- شرف المعنى وصحته.

2- جزالة اللفظ واستقامته.

3- الإصابة في الوصف.

4- المقاربة في التشبيه.

5- التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن.

6- مناسبة المستعار منه للمستعار له.

7- مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما.

فكل قصيدة تتحقق فيها العناصر السابقة هي قصيدة جميلة بعرف العرب.

سادساً: الفصل بين الدين والشعر

يرى العرب ضرورة الفصل بين الدين والشعر، فلكل واحد منهما ميدانه، وعليه قول القاضي الجرجاني "فلو كانت الديانة عارا على الشعر وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر، لوجب أن

[92] - انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، ص (398-410)، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1406هـ/ 1986م.

يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد عليه الأمة بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله وأضرابهما بكما خرسا، وبِكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر".[93]

والمراد مما سبق أن صنعة الشعر تحتاج إلى مجموعة من العوامل الفنية حتى يكون الكلام شعرا، فلا يكفي المضمون الخير دون الشكل الفني، فالشعر قسيم النثر، ولكل منهما خصائصه الأسلوبية والفنية، وهذه الخصائص قد يجيدها من كان في الجاهلية أو الإسلام على درجات متفاوتة، ولا علاقة لإجادة قواعد العمل الفني بالدين، ولكن ليس معنى هذا أن لا يلتزم الشاعر بالدين، فدعوة الجرجاني لإجادة الشكل لا تعني رفض التزام المضمون، والكلمة الجميلة لا بد أن تكون أمينة، وهل ثمة جمال بدون الأمانة إلا أن يكون جمالا مزيفا؟.

وقد استمر مفهوم الفصل بين الشعر وأي غاية أخرى خارجة عنه إلى العصر الحديث، يقول سيد قطب في هذا السياق مؤكداً ععلى الهوية الفنية للعمل الأدبي: "فالموضوع إذن بذاته ليس هو مناط الحكم، وأهدافه العقلية أو الاجتماعية أو السياسية أو الخلقية المباشرة ليست هي الغاية، إنما

[93] – الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم وعلي مُحَمَّد البجاوي، ص(64)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

التصوير المعبر الموحي، والانفعال الناشئ عن هذا التصوير هما اللذان يحددان موضوع التعبير: إن كان في فصل الأدب، أو فصل العلوم، أو فصل الفلسفات".[94]

سابعاً: نموذج من معلقة عنترة

قال عنترة يفتخر ببطولته وأريحيته:[95]

هلا ســـألتِ القومَ يا ابنةَ مالكٍ

إنْ كنتِ جاهلةً بما لـــم تعلمي

.....

يخبركِ من شـــهدَ الوقيعةَ أنني

أغشـــى الوغى وأعفُّ عند المغنمِ[96]

ومُدججٍ كرهَ الكمـــــاةُ نِزالَهُ

لا ممعنٍ هرباً ولا مستســـلمِ[97]

جادتْ يدايَ لهُ بعاجلِ طـــعنةٍ

---

[94] – النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص (13)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1424هـ/ 2003م.

[95] – شرح القصائد العشر، للتبريزي، بتحقيق د. قباوة، ص (294-303).

[96] – الوغى: الصوت والجلبة، ثم غلب عليه الصوت في الحرب.

[97] –المدجج: الذي توارى بالسلاح، بفتح الميم وكسرها. نزاله: منازلته.

بمثقفٍ صَدْقِ الكُعُــوبِ مقوَّمِ[98]

برحيبةِ الفرْغينِ يهدي جرْسُــها

باللّيــلِ مُعتسَّ الذئابِ الضرَّمِ[99]

فشــككتُ بالرمحِ الأصمِّ ثيابَهُ

ليس الكريــمُ على القنا بمحرمِ[100]

.....

ولقد ذكرتُكِ والرمــاحُ نواهلٌ

مني وبِيضُ الهندِ تقطرُ من دمي[101]

فوددتُ تقبيلَ الســيوفِ لأنها

لمعتْ كبارقِ ثغركِ المتبســمِ

إنها قصيدة من الأدب العظيم، تلتحم فيها الحرب بالحب، أو يلتحم الحب فيها بالحرب، فكانت ملحمة خالدة تتوارثها الأجيال والأمم عبر التاريخ، من ذلك البطل الباسل الأسود، الذي كان يرفل

---

98 – المثقف: المصلح المقوم. الكعوب: عُقد الأنابيب. الصَّدْقُ: الصلبُ. وما بين كل أنبوبين: كعب. والمقوم: الذي قُوِّم وسوي.

99 – الرَّحيبة: الواسعة. وما بين كل عَرقُوتين فرْغ. وفرغ: مدفع الماء إلى الأودية. فضرب هذا مثلاً لمخرج الدم من هذه الطعنة، فجعله مثل مصب الدلو. والجرْس: الصوت.

100 – شككته أشكه: إذا انتظمته. ثيابه: درعه.

101 – بيض الهند: السيوف.

بحلة من الشجاعة ومكارم الأخلاق يعجز عنها الكثير ممن آتاهم الله جمال البشرة، ولكن لم يؤتهم نظافة قلب عنتر،ة وشجاعته وقوة إرادته، ونزعته الإنسانية الطيبة التي تفيض بالحب والنقاء!.

الشعر ديوان العرب في شتى العصور[102]

[102] – المصدر: http://almraah.net/imgcache/2/22021alsh3er.jpg

المبحث الثالث عشر:

البديع والارتجال.. كأنه إلهام!

هذه الخصيصة مما ذكره أديب العربية الأكبر الجاحظ بحق العرب، حيث قال: "والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان"[103]

ومصطلح البديع في اللغة مأخوذ من الفعل "بَدَعه بدعاً: أنشأه على غير مثال سابق، فهو بديع، للفاعل والمفعول".[104]

وأما عند الأدباء فله معان كثيرة، حيث تطور هذا المصطلح مع تطور العلوم ونهضة الثقافة العربية، والمقصود العام بمصطلح البديع: أساليب الصناعة اللفظية والمعنوية التي تضفي على الكلام رونقاً وجمالاً، وتجعله موشى بالحلى والزخارف، يأخذ الألباب بسحره، ويروق السامعين بجرسه ومعناه، وقد تطورت هذه الأساليب فيما بعد إلى ما يعرف عند البلاغيين بعلم البديع، وتم تبويب بعضها تحت مسمى علم البيان وعلم المعاني.

---

[103] – البيان والتبيين، (4/55-56).

[104] – المعجم الوسيط، مادة (بدع).

ولاشك أن البديع موجود في معظم اللغات[105]، وليس مقصوراًعلى العرب... ولكنه لكثرته وتميزه بين العرب وكمال عنايتهم به فكأنه خاص بهم.. ولعل هذا هو مراد الجاحظ، وليس النفي المطلق لوجود البديع في غير العربية!..وذلك لأن اللغات . كما هو معلوم . تتشابه، وبخاصة في أساليبها البلاغية، وقد أشار إلى ذلك أبو هلال العسكري حيث قال: "ومن عرف ترتيب المعاني، واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات، ثم انتقل إلى لغة أخرى، تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى، ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي، فحولها إلى اللسان العربي، فلا يكمل لصناعة الكلام إلا من يكمل لإصابة المعنى، وتصحيح اللفظ، والمعرفة بوجوه الاستعمال".[106]

وأما بالنسبة للخطابة فالعرب أهلها ورجالها بلا منازع، وقد كان العرب أيام ازدهار الخطابة فيهم من أقوى الناس على الارتجال؛ وبه يتفوقون على سائر الأمم، وقد بسط الجاحظ الحديث في تحليل أسباب تفوقهم، فقال في هذا الصدد متحدثاً عن قوة الطبائع العربية في إمداد أصحابها بالكلام الجيد عند المناسبات الهامة: "وفي الفرس خطباء ، إلا أن كل كلام الفرس، وكل معنى للعجم، فإنما هو عن طول فكرة، وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكر ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمار

---

[105] – انظر: البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، ص (56). دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة.

[106] – كتاب الصناعتين، تحقيق د. مفيد قميحة، ص (84) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1401هـ/ 1981م.

تلك الفِكَرُ عند آخرهم. وكل شيءٍ للعرب فهو بديهةٌ وارتجالٌ، وكأنه إلهامٌ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالةُ فكرٍ ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين أن يَمْتَحَ على رأس بئر، أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة أو المناقَلَة، وعند صراع أو في حرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني أرسالاً، وتَنْثالُ عليه الألفاظ انثيالاً، ثم لا يقيِّده على نفسه، ولا يدرِّسه أحدًا من وَلَدِه. وكانوا أمِّيّين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلَّفون، وكان الكلام الجيِّد عندهم أَظْهَر وأكثر، وهم عليه أَقْدَر وأَقْهَر، وكلُّ واحدٍ في نفسه أَنْطَق، ومكانه من البيان أَرْفَع، وخطباؤهم أَوْجَز، والكلام عليهم أَسْهَل، وهو عليهم أَيْسَر من أن يفتقروا إلى تحفُّظٍ، أو يحتاجوا إلى تَدارُسٍ، وليس هم كمَنْ حفظ علم غيره، واحتذى على كلام مَنْ كان قبله، فلم يحفظوا إلاَّ ما علق بقلوبهم، والتحم بصدورهم، واتَّصل بعقولهم من غير تكلُّفٍ ولا قصدٍ ولا تحفُّظٍ ولا طَلَبٍ.".[107]

وما ذهب إليه الجاحظ من تفوق العرب في الخطابة، وقدرتهم على الارتجال، حق لا مراء فيه، حيث يأتي الكلام عذباً سلسالاً يتدفق على أفواههم من غير تكلف ولا معاناة، وهي مزية تجعلهم يتفوقون بها على الأمم الأخرى التي تتكلف في خطابها وتتصنع في كلامها، وتعاني في صناعة الكلام الجيد ما تعاني!.

[107] – البيان والتبيين، (3/28-29).

المبحث الرابع عشر:

اعتدال الوصـف واللـون

العرب هم أمة وسط في أشكالها وألوانها، والوسط هو الاعتدال، وخير الأشياء أوسطها، وهو الفضيلة بين بين رذيلتين: الغلو والتقصير!.[108]

ليس العرب ببياض الروم الناصع، ولا بسواد الحبشة الداكن، بل هم أمة سمراء كأديم الأرض، وذلك بسبب أن الشمس تلفحهم بحرها وأشعتها، ولكن بعض أشرافهم كانوا بيضاً باعتدال، أو أقرب إلى البياض.

واللون الأبيض جميل، واللون الأسود جميل كذلك، ولكن كلاً منهما يمكن أن يُحسَّن لدى البعض ويُقَبَّحَ لدى البعض الآخر، فالمسألة هي مسألة أذواق تتباين من مكان لآخر، ومن زمن إلى زمن، ونستأنس هنا ببعض ما جاء في كتب الأدب، فمما قيل في "مدح البياض: قال رسول الله ﷺ: (البياض نصف الحسن). وكان ـ ﷺ ـ أبيض أزهر اللون مشرباً بحمرة... ومما قيل في مدح السواد: قيل لبعضهم: ما تقول في السواد؟. قال: النور في السواد. أراد بذلك نور العينين في

---

108 – انظر: مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (53).

سوادهما... وتفاخرت حبشية ورومية،فقالت الرومية: أنا حبة كافور، وأنتِ عدل فحمٍ. فقالت الحبشية: أنا حبة مسكٍ، وأنت عدل ملح".[109]

ولعرب ليسوا عماليقاً ولا أقزاماً، وبالتالي هم مقبولون عند جميع الشعوب، لعدم تباينهم مع غيرهم تباين النقيض مع نقيضه، يقول في نعتهم غوستاف لوبون: "وأحسن وصف قيل في مثال العرب الجثماني، الذي يطابق كثيراً من العرب الخُلص، هو ما ذكره الجراح الأول السابق في الجيش المصري، لاري، في الكلمات الآتية وهي: هم مربوعو القامة، ذوو تكوين حسن، ومَرانةٍ ضُلعٌ سُفعٌ، وجوههم بيضية سمر، وجبنهم عريضة عالية، وحواجبهم سود منفصلة، وعيونهم كحل لامعة، وأنوفهم معتدلة، وأفواههم جميلة، وأسنانهم منضدة عاجية البياض، وآذانهم حسنة الشكل غير كبيرة مائلة قليلاً إلى الأمام، وخُروُتهم[110] محاذية تماماً لأجفانهم".

---

[109] - المستطرف، (1/384-385).

[110] - الخروت جمع خُرْت، وهو ثقب الأذن.

ويضيف نتحدثاً عن خصائص الجمال العربي في المرأة: "وفي المرأة العربية محاسن كثيرة كما في أخواتها من الأمم الأخرى، ونحن نعجب على الخصوص، باستدارة أعضائها اللطيفة، وتناسب يديها واعتدال رجليها، وهيف قامتها وتبخترها....".[111]

ويتحدث لوبون عن أهم صفات العرب التي عاينها بنفسه: "وأشد ما استوقف نظري من الأوصاف التي وصف لاري بها العرب هو ما شاهدته، على الخصوص، من التماع عيون صبيانهم، وبياض أسنانهم، ودقة أيديهم وأرجلهم، وهيف قامتهم، وما إلى ذلك مما لا يُرى اليوم في غير عرب البادية".[112]

هكذا هم العرب في عيون المستشرقين، وسبحان من قسم الجمال والألوان والصفات بين خلقه، وجعلهم أمةً وسطاً في كل شيء!، والوسطية هي قطب الدائرة الذي تلتقي عنده كل أقطارها بمسافات متساوية، فهو مركز التوازن والتناظر بين جميع نقاطها، فهم أحسن الناس ولو كذب المبطلون، وصدق ابن رشيق القيرواني حين قال: "العرب أشرف الأمم، وحكمتها أشرف الحكم".[113]

---

[111] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (69-70).

[112] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (70).

[113] – العمدة في صناعة الشعر ونقده، للقيرواني، تحقيق د. مفيد مُحَمَّد قميحة، (15/1).

المبحث الخامس عشر:

العاطفة المتوهجة كالشمس!

العرب أمة عاطفية بامتياز، إذا دخلت الحرب كانت ذات قلوب صلبة، وإذا خرجت منها كانت ذات عاطفة متؤججة، فهي تجمع النقيضين في آنٍ واحد، يلخص حالتهم النفسية قول الشاعر:[114]

إذا احتربتْ يوماً فسـالت دماؤها

تذكرت القربى ففاضتْ دموعهـا

ولذلك جاء في وصايا الرسول الكريم ﷺ: العفو عند المقدرة، وذلك حتى لا تتقطع الأواصر بين الناس، ففي الحديث: (صلْ من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو

---

[114] – البيت للبحتري، وهو من شواهد المزاوجة، وهي أن يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، شرح د. مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، (497/2)، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة، بيروت، 1403هـ/ 1983م.

على نفسك)[115]. وقال أيضاً: (من ابتلي فصبر، وأُعطي فشكر، وظُلمَ فغفر، وظَلمَ فاستغفر، أولئك لهم الأمنُ وهم مهتدون). [116]

وقد مارس الرسول الكريم ﷺ وصلَ الناس الذين آذوه وأخرجوه، ففي الحديث: (إن آلَ فلانٍ ليسوا لي بأولياءَ، إنما وليِيَ اللهُ وصالحُ المؤمنين، ولكنَّ لهم رحمٌ أبُلُّها ببلالها). [117]

إن الشخصية العربية هي الشخصية الفطرية السليمة التي يتكامل فيها البناء النفسي السوي بين عقل راجح، وعاطفة جامحة، يدور بينهما الإنسان العربي، ليتخذ المواقف الإنسانية التي تتلاءم مع مع مصالحه من جهة، ومع شرف انتمائه للقبيلة والإنسانية من جهة أخرى، بعكس الأمم المادية التي لا ينظر فيها المرء إلا لمصالحه وسعادته ولو كان سيبنيها على دوع الآخرين ودمائهم!.

وهذه الشخصية العربية أثارت إعجاب الناس، ومنهم المستشرقون، وذلك لما فيها من شموخ وإباء، يقول جاك برك: "هذا الإنسان يختلف عن إنسان الثورة الصناعية بخشونته، فهو لا يريق

---

[115] – رواه ابن النجار عن علي، ورمز السيوطي لصحته، انظر: الجامع الصغير، (196/4)، الحديث (5004).

[116] – رواه رواه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان،عن سَخْبَرَة، وهو حديث حسن، انظر: الجامع الصغير، (22/6)، الحديث (8281).

[117] – متفق عليه عن عمرو بن العاص، انظر: مشكاة المصابيح، (1376/3-1377)، الحديث (4914).

وجدانه، ونعني به إذا شئنا، رعشته مع الوجود، في نثر العواطف أبداً، إنه يقتصر على إشارات وأغاني ملتهبة بالأهواء وجافة، صاخبة ومتحفظة في آن واحد، إنه، لصق الأرض، يتفجر ويلتجم، في الوقت نفسه. شأنه شأن السجادة التي يبسطونها لك، في مهب الريح، فوق أرض الصحراء. فأنت تحس تحتها بخصلات الأعشاب المنسحقة، وبدفء الثرى ونتوءاته. ولكن هذا الفوران الغاضب لا يبلغ إلا سطحاً زوق في صورة التاريخ. فكأننا أمام نافورة نابعة بعيدة من الأغوار، فتكبح وتتخلى عن ذاتها حالما تتصل بضوء النهار حيث تحترق وتتساقط أشكالاً وألواناً. وهذا التخلي هو أيضاً كلاسيكية... فما القول، حينما يصبح شاعراً، أي عندما يبلغ قمة النظام، فيرتفع غلى مواقف لم تكف، حتى يومنا هذا، عن فرض جاذبية نداءاتها، داخل الإسلام وخارجه؟".[118]

ومما يدل على ما ذهبنا إليه من عاطفية الشعب العربي شهادة معاوية بن أبي سفيان لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ بالفضل ، وبكائه عليه بعد استشهاده، على الرغم مما جرى بينهما من حروب ووقائع، وهو ما يذكره الخبر الآتي:

"دَخَلَ ضِرَارُ بْنُ ضَمْرَةَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ لَهُ ـ معاوية ـ : صِفْ لِي عَلِيّاً ؟ فَقَالَ لَهُ : أَ وَ تُعْفِينِي مِنْ ذَلِكَ ؟.

[118] – العرب من الأمس إلى الغد، ترجمة د. علي سعد، ص (27-28)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1402هـ/ 1982م.

فَقَالَ : لَا أُعْفِيكَ.

فَقَالَ: كَانَ وَ اللَّهِ بَعِيدَ الْمدَى ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَقُولُ فَصْلًا ، وَ يَحْكُمُ عَدْلًا ، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَ تَنْطِق الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَ زَهْرَتِهَا ، وَ يَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَ وَحْشَتِهِ.

كَانَ وَ اللَّهِ غَزِيرَ الْعَبْرَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ، يُقَلِّبُ كَفَّهُ ، وَ يُخَاطِبُ نَفْسَهُ ، وَ يُنَاجِي رَبَّهُ ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا خَشُنَ ، وَ مِنَ الطَّعَامِ مَا جَشَبَ. كَانَ وَ اللَّهِ فِينَا كَأَحَدِنَا ، يُدْنِينَا إِذَا أَتَيْنَاهُ ، وَ يُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَ كُنَّا مَعَ دُنُوِّهِ مِنَّا وَ قُرْبِنَا مِنْهُ لَا نُكَلِّمُهُ لِهَيْبَتِهِ ، وَ لَا نَرْفَعُ أَعْيُنَنَا إِلَيْهِ لِعَظَمَتِهِ ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنْ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ ، يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّينِ ، وَ يُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ ، وَ لَا يَيْأَسُ الضَّعِيفَ مِنْ عَدْلِهِ ، وَ أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ ، وَ قَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ ، وَ غَارَتْ نُجُومُهُ ، وَ هُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ ، قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ ، وَ يَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، فَكَأَنِّي الْآنَ أَسْمَعُهُ وَ هُوَ يَقُولُ : يَا دُنْيَا ، يَا دُنْيَا ، أَبِي تَعَرَّضْتِ ؟ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ ؟ هَيْهَاتَ ، هَيْهَاتَ ، غُرِّي غَيْرِي ، لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ ، قَدْ أَبَنْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ لِي فِيهَا ، فَعُمُرُكِ قَصِيرٌ ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ ، آهِ آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ ، وَ بُعْدِ السَّفَرِ ، وَ وَحْشَةِ الطَّرِيقِ ، وَعِظَمِ الْمَوْرِدِ .

فَوَكَفَتْ دُمُوعُ مُعَاوِيَةَ عَلَى لِحْيَتِهِ فَنَشَفَهَا بِكُمِّهِ، وَاخْتَنَقَ الْقَوْمُ بِالْبُكَاءِ.

ثُمَّ قَالَ ـ معاوية ـ : كَانَ وَ اللَّهِ أَبُو الْحَسَنِ كَذَلِكَ ، فَكَيْفَ كَانَ حُبُّكَ إِيَّاهُ ؟.

قَالَ : كَحُبِّ أُمِّ مُوسَى لِمُوسَى ، وَ أَعْتَذِرُ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّقْصِيرِ .

قَالَ : فَكَيْفَ صَبْرُكَ عَنْهُ يَا ضِرَارُ ؟.

قَالَ : صَبْرَ مَنْ ذُبِحَ وَاحِدُهَا عَلَى صَدْرِهَا ، فَهِيَ لَا تَرْقَى عَبْرَتُهَا ، وَ لَا تَسْكُنُ حَرَارَتُهَا. ثُمَّ قَامَ وَ خَرَجَ وَ هُوَ بَاكٍ.

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ فَقَدْتُمُونِي لَمَا كَانَ فِيكُمْ مَنْ يُثْنِي عَلَيَّ مِثْلَ هَذَا الثَّنَاءِ !.

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ حَاضِراً : الصَّاحِبُ عَلَى قَدْرِ صَاحِبِهِ".[119]

والخلاصة: إن العرب شعب عاقل أولاً، وعاطفي بعد ذلك، سرعان ما يغضب وسرعان ما يرضى، وسرعان ما يكدر وسرعان ما يصفو، فلله هم من شعب طيب تملكه العواطف ويملكها!، وتتحكم به ويتحكم بها!، وهذه هي سمة كل شعب حر كريم.

[119] – انظرموقع عالم المعرفة على الرابط الآتي:

http://www.alm3refh.com/vb/t26117.html

المبحث السادس عشر

بحـار الكـرم!

الكرم من سمات العرب في جاهليتهم وإسلامهم، وهو خلق أصيل فيهم... ربما كان كرم بعضهم في الجاهلية رياءً وسمعة، ولكن كرمهم في الإسلام كان نقي المقصد، بعيداً عن الشوائب، حيث كان شعارهم: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا). (سورة الإنسان: 8-9).

القدور العربية[120]

[120] – المصدر: http://1.bp.blogspot.com/_JzSxeLZXGqo/TMZyusGHDtI/AAAAAAAAAFg/Xj23huW6Xbs/s1600/%D9%83%D8%B1%D9%85+%D8%A7%D9%84%D8%B6%D9%8A%D8%A7%D9%81%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A.jpg

ويبين الألوسي تميز العرب بشيمة الكرم، فيقول: "أما كون العرب أقرب للسخاء من غيرهم، فذاك الذي لا يحتاج إلى بيان، ولا يعوز إلى إقامة دليل ولا برهان. قد شهد لهم به الأوداء والأعداء، واعترف لهم الأقربون والبعداء، إذا ألم بهم ضيف حكموه على أنفسهم، واستهانوا له ما وجدوه من نفيسهم، وهذا شعرهم ينطق بما جُبلوا عليه، ويُعرب عما ألفوه وجنحوا إليه، وهو مما لا يمكن استيعابه في هذا المقام، ومن أين لنا الإحاطة بالبحر المحيط وقد ضاقت عليه دوائر الأفهام؟".[121]

ومن الشعر الذي ذكره الألوسي قول أحدهم يذكر كثرة ما يذبحه للضوف من نعاجه، حتى ودت لو أن الذئب يكون راعيها:[122]

تركتُ ضَأني تودُّ الذئبَ راعيها

وأنهـــا لا تراني آخرَ الأبدِ[123]

الذئبُ يطرقُها في الدهر واحدةً

وكلَّ يـــومٍ تراني مُديةٌ بيدي[124]

---

121 - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (46/1).

122 - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (49/1-50).

123 - الضأن: ذوات الصوف من الغنم، الواحدة ضائنة، والذكر ضائن.

124 - المدية: الشفرة، والجمع: مدى ومديات.

وقال آخر يصف عون صاحبه له وقت الضيق من دون منٍّ ولا أذى:[125]

سـأشكرُ عمراً إن تراخت منيتي

أيادي لم تمنن وإن هـي جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه

ولا مظهر الشـكوى إذا النعل زلت

رأى خلّتي من حيث يخفى مكانهـا

فكانت قـذى عينيه حتى تجلَّتِ[126]

واشتهر من أجواد الحجاز عبيد الله بن العباس، وهو الذي ينفق أطايب الطعام وقت الجدب والمجاعة، ويحتضن الأيتام والمعذبين في الأرض عند الحاجة، ولا غرابة في هذا، فهو من نسل سيدنا العباس الذي اشتهر بالجود والكرم، وفيه يقول الشاعر:[127]

125 - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (1/53-54).

126 - الخلة: الفقر هنا. وقوله: (فكانت قذى عينيه) أي: لم يصبر عليها كما لا يصبر الرجل على قذى عينيه حتى يخرجه..

127 - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (1/94).

وفي السنة الشهباء أطعمتَ حامضاً

وحلـــواً ولحماً تامِكاً ومُمَزَّعا[128]

وأنت ربيعٌ لليتامـــى وعصمةٌ

إذا المحل من جو الســماء تطلعا

أبوك أبو الفضل الذي كان رحمـةً

وغيثاً ونوراً للخلائق أجمعــا

والشجاعة ضرب من الجود، قال مسلم بن الوليد يذكر جود ممدوحه بنفسه:[129]

يجود بالنفس إذ أنت الضنين بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

كما أن الجود ضرب من الشجاعة النفسية، قال مسلم أيضاً في السياق ذاته: [130]

هو البحر يغشى سرة الأرض سيبه

---

[128] – السنة الشهباء: التي لا خضرة فيها، أو لا مطر. تامكاً: سميناً. ممزعاً: مفرقاً.

[129] – مختارات البارودي، (117/1)

[130] – مختارات البارودي، (122/1)

وتدرك أطراف البلاد ســواحله

فلو لــم يكن في كفه غير روحه

لجاد بها فليتق الله ســـــائله

وهذا الشعر الذي قدمناه هو غيض من فيض، وهو يدل على أن الكرم أشرف صفات العرب، وهو خلقٌ باق في نفوس العرب على مر السنين، فقد فطروا عليه، وكأنهم جزء منه أو هو جزء منهم، وقد لمس هذا بعض المستشرقين في العصر الحديث، يقول غوستاف لوبون: "وعلى الباحث الذي يرغب في اسْتِبار العرب، أن يسيح في مهد العروبة، وأن يدرس أحوال العرب فيها عن كثب، فقد عد بلغريفُ عرب الجزيرة الذين عاش بينهم زمناً طويلاً من أعظم أمم الأرض كرماً ونبلاً، قال بلغريف: إن أهل الحضر من العرب من أنبل شعوب الأرض وأكرمهم، وهم جديرون بهذا المدح، وقد أكثرت من السياحة في أنحاء العالم، وكانت لي صلاتٌ وثيقة بمختلف الأمم الإفريقية والآسيوية والأوربية، فظهر لي أن الأمم التي يُفَضَّلُ أفرادها على سكان جزيرة العرب الوسطى قليلة للغاية".[131]

[131] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (76-77).

المبحث السابع عشر

ليوث الشــجاعة!

في موازاة خلق الكرم تأتي الشجاعة، وهي خلق أصيل من أخلاق العرب، والعربي رجل متقلد سيفه، وحامل رمحه، وليس بأعزل حتى وهو يمارس اللهو والمجون، كما هو حال امرئ القيس، الذي استنكر أن يقتل وهو يمارس لهوه لأنه مصاحب سيفه ورماحه، يقول: [132]

أيقتلني والمشرفي مضاجعي

ومسنونة زرق كأنياب أغوال[133]

والعربي لا يعرف الهوان أمام أعدائه، يقول الشريف الرضي: [134]

إذا عربي لم يكن مثل جــده

مضاءً على الأعداء أنكره الجد

---

132 – انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، (7/2)، عالم الكتب، بيروت.

133 – المِشْرَفِي: نسبة إلى مشارف الشام، وهي قرى من أرض العرب، تدنو من الريف، منها السيوف المشرفية. والمسنون: المحدد المصقول. ووصف النصال بالزرقة للدلالة على صفائها.

134 – مختارات البارودي،(235/2).

ويحلل الألوسي سبب تفوق العرب بالشجاعة على غيرهم، فيقول: "وأما كون العرب أشجع من غيرهم، فلأن الشجاعة من الصفات الغريزية، والسجايا الطبيعية، وقوة للنفس معنوية، لا تُدرك إلا بآثارها وغاياتها، ولا تعلم إلا بمقتضياتها وعلاماتها، وهي الإقدام في مواضع الإحجام، وعدم المبالاة بالحياة ولا بالممات، وكلما كانت هذه الآثار أعظم. كان مبدؤها أقوى وأتمَّ، والعرب لم تزل رماحهم متشابكة، وأعمارهم في الحروب متهالكة، وسيوفهم متقارعة، وأبطالهم في ميادين الغوغاء متنازعة، قد رغبوا عن الحياة، وطيب اللذات، وزهدوا لتأييد عزهم عن المقيل في أفياء الشهوات، وهم كما قال القائل فيهم:

قـومٌ إذا نزل الغريبُ بدارهم

تركوه ربَّ صواهلٍ وقيــانِ[135]

وإذا دعوتَهمُ ليــومٍ كريهةٍ

سَدُّوا شعاعَ الشمسِ بالفرسـانِ

لا ينكتون الأرضَ عند سؤالهم

لتطلُّب العِلاتِ بالعــيدانِ[136]

بل يسفرون وجوههم فترى لها

عند السـؤال كأحسن الألوانِ

---

[135] – القيان: جمعة قينة، وهي الأمة المغنية.

[136] – النكت: أن تضرب في الأرض بقضيب، فيؤثر بطرفه فيها.

كانوا يتمادحون بالموت قطعاً، ويتهاجون بالموت على الفراش، ويقولون فيه: مات فلانٌ حتفَ أنفه. وعن بعضهم وقد بلغه موتُ أخيه: إنْ يُقتلْ فقد قُتلَ أبوه وأخوه وعمه، إنا والله لا نموت حتفاً، ولكن قطعاً بأطراف الرماح، وموتاً تحتَ ظلال السيوف".[137]

ومن الشعر السائر الذي يدل على تفاخرهم بالشجاعة، والموت في ساحات الوغى، قول الشاعر:[138]

وما ماتَ منا سيدٌ حتفَ أنفهِ

ولا طُلَّ منا حيث كـان قتيلُ[139]

تَسيل على حدِّ الظُّباةِ نفوسنا

وليست على غير الظُّباةِ تسيلُ[140]

---

137 - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (1/103-104).

138 - ينسب للسموءل، انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (1/104).

139 - يقال: مات فلان حتف أنفه: إذا مات من غير قتل ولا ضرب. ولا طل منا: أي لم يطل دم قتيلٍ منا. يقال: طل دمه: إذا بطل ولم يطلب.به وهو مطلول.

140 - الظباء جمع ظبة وهي حد السيف.

مرقد سيف الله المسلول خالد بن الوليد[141]

[141] – المصدر: https://s.yimg.com/qn/up/travel/e/c/24/561/ec2456181658a9424ec1e39d408f22b1.jpg

وتقترن الشجاعة بالصبر والمصابرة وقت الحرب والشدة، ولا خير في الشجاعة من دون صبر، إذ قد تسبب لصاحبها الهلكة والندامة إذا لم يكن من أهل الصبر والمصابرة، يقول الألوسي: "وقد خص العرب من الشجاعة في حروبهم، والنجدة في مصابرة عدوهم، ما شهدت به تواريخ الأمم، واعترفت به ألسن العرب والعجم. ومن راجع الكتب المؤلفة في أيامهم، وسيرهم في سالف أعوامهم، تبين لديه أنهم لم يشهدوا حرباً في فزاع، إلا صابروا حتى انجلت عن ظفر أو دفاع، وهم في موقفهم لم يزولوا عنه هرباً، ولا حازوا فيه رغباً، بل ثبتوا بقلب آمن، وجأش ساكن".[142]

هكذا كانت شجاعة العرب وحروبهم الداخلية فيما بينهم مقدمة لتهيئتهم لدور أكبر في التاريخ، وذلك حين وحدهم الله تحت لواء دينه، فتحولت حروبهم الداخلية إلى حروب خارجية، وصارت فتوحات لنشر هذا الدين، وتحرير هذا العالم من العبودية للطواغيت، وتحطيم الأصنام والأغلال التي حالت بين الإنسان والتوحيد والحرية والإبداع في العصور الوسطى.

فلله هؤلاء العرب الذين جمعوا أسس الأخلاق الزكية!، وهي جودة الرأي، والشجاعة والكرم، وهي أمهات الخلق الحميد كما قال قدامة: "إنه لما كانت فضائل الناس، من حيث إنهم ناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان، على ما عليه أهل الألباب، من الاتفاق في ذلك، إنما هي: العقل والشجاعة والعدل والعفة".[143]

---

142 - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (107/1).

143 - نقد الشعر، تحقيق د. مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، ص (96)، دار الكتب العلمية، بيروت.

شجاعة الأحفاد في الدفاع عن الوطن السليب[144]

[144] – المصدر : http://www.farfesh.com/pic_server/articles_images/2015/09/16/tefll/560_09.jpg

المبحث الثامن عشر:

عشاق الشـــمس!

العرب شعب يعيش تحت الشمس، ويعشق الشمس، وينطلق في ضوء الشمس، ولا شيء أحب إليهم من الفسحة والحرية اللانهائية، والانطلاق في ربوع الصحراء، بلا حدود ولا قيود، فهم قبائل من الأحرار.

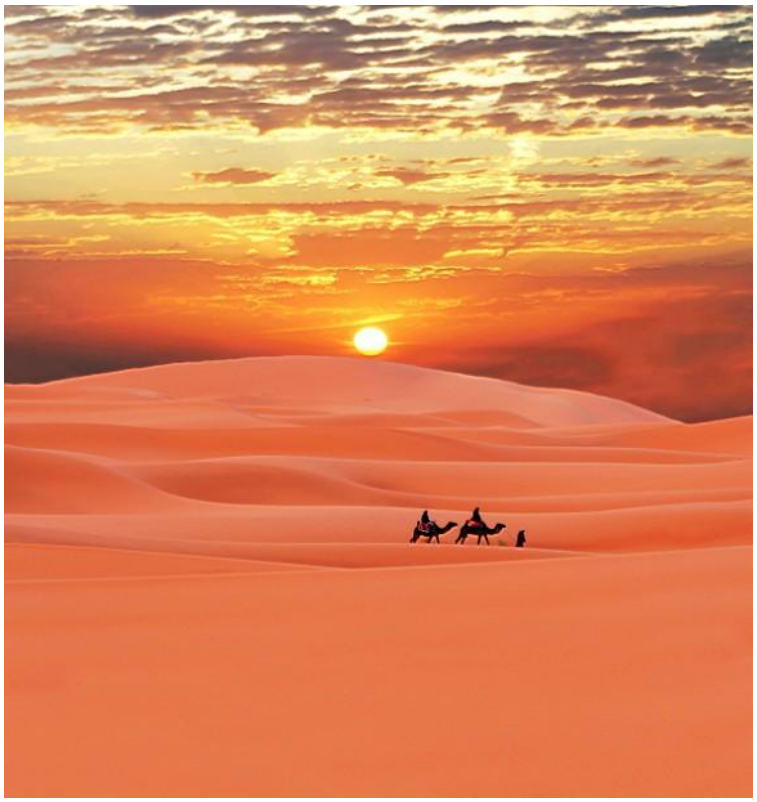

هل الصحراء قطعة من الشمس أم الشمس قطعة من الصحراء؟[145]

[145] – المصدر: https://ar.aliexpress.com/w/wholesale-sunset-studio.html

تعلموا أن لا يطأطئوا هاماتهم إلا لمن خلقها، لا يعرفون الذل والانقياد لأحد في الجاهلية، لدرجة أن أحد شعرائهم وهو عمرو بن كلثوم يقول في قصيدة مخاطباً الملك عمرو بن هند بعد أن أرداه قتيلا ثأراً للكرامة: [146]

بأي مشـــيئة عمرَو بن هندٍ

نكونُ لقيلِكم فيهـــا قطينا[147]

تهدَّدّنا وأوعـــدنا رويداً

متى كـــنا لأمكَ مَقتوِينا[148]

فإن قناتنا يـــا عمرو أعيتْ

على الأعـــداء قبلكَ أن تلينا[149]

---

[146] – انظر معلقته في: شرح القصائد العشر، للتبريزي، بتحقيق د. قباوة، ص (318-367). وجواهر الأدب، للهاشمي، (356/1). دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثلاثون.

[147] – القَيْل: من ملوك اليمن في الجاهلية، دون الملك الأعظم، والجمع: أقوال وأقيال. ويروى: نكون لخلفكم، والمراد به العبيد والخدم. والقطين: المتجاورون.

[148] – مَقتوينا: نسبة إلى مَقتى، وهو مفعل من القَتْوِ، والقتو: الخدمة، خدمة الملوك خاصة.

[149] – أراد بالقناة: الأصل، أي نحن لا نلين لأحد.

ثم يقول مفتخراً ورأسه في السماء:

لنا الدنيا ومن أضحى عليهـا

ونبطـشُ حين نبطشُ قادرينا

إذا ما المُلْكُ سـامَ الناسَ خسفاً

أبينا أنْ نقـــرَّ الذلَّ فينا[150]

نســمى ظالمينا وما ظلمنا

ولكنا ســـنبدأ ظالمينا

إذا بلــغ الفطامَ لنا صبيٌّ

تخِرُّ لهُ الجبابرُ ســاجدينا

ملأنا البرَّ حــتى ضاقَ عنا

وظهرَ البــحرِ نملؤه سفينا

ألا لا يجهلــنْ أحدٌ علينا

فنجهلَ فوقَ جـهلِ الجاهلينا

---

[150] – الخسف: الظلم والنقصان.

وهذه القصيدة تشكل ملحمة خالدة، وهي تعبر عن مدى إحساس العرب بالحرية ونفورهم من الظلم والاستبداد، والخنوع والاستعباد، وهذا شعور قائم بأنفسهم إلى قيام الساعة، وذلك على الرغم من عمليات التهجين والتركيع التي مرت بهم عبر التاريخ كله!.

والأعراب منهم أشد توقاً للحرية من سكان المدن، ولعل ذلك بسبب نشأتهم وعيشهم في الصحراء االتي لا تعرف القيود ولا الحدود، وحول هذا الموضوع يقول غوستاف لوبون: "إن الأعراب من سكان الجزيرة العرب وسورية وإفريقية يحبون الحرية حباً جماً لا يقدر الأوربي أن يتصوره، وهم يزدرون أبناء المدن ويعدونهم من الأرقاء لذلك، ويتضمن الارتباط في الأرض عندهم معنى توديع الحرية والخضوع لسيد، ويرى الأعراب الذين لا يملكون سوى حريتهم أن هذه الحرية أغلى شيء، وقد حافظوا عليها بتوالي الأجيال"[151]

ولما جاء الإسلام زادهم نزعة في الحرية، وذلك حين حرر العرب من العبودية للأصنام والطاغوت، فما عادوا يخضعون إلا لله الواحد القهار.

قد ينقاد غيرهم من الشعوب لآلهة ـ مزعومة ـ متعددة متصارعة فيما بينها، وأما العربي المسلم فهو ينقاد لربه الذي خلقه، وقد علمهم القرآن معنى الانقياد لله وحده، قال تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا

[151] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (73).

لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). (سورة الزمر: 27-29).

إن كتاب الله الذي نزل بلسان عربي هو الذي يحتوي الأمثال في كل شيء، ومن هذه الأمثال مثل المؤمن والمشرك، فكما أنه لا يستوي من كان عبداً لرجل مع من كان عبداً لمجموعة من الرجال المختلفين فيما بينهم، هذا يأمره وهذا ينهاه، فيحتار في أمره ماذا يفعل، كذلك لا يستوي من كان عبداً لله تعالى يعبد رباً واحداً ويتلقى منه الأوامر والنواهي، مع من يعبد آلهة شتى متناقضة فيما بينها[152]، وفيما يُنقل عنها من تعاليم وتوجيهات!.

إذاً فالإسلام حرر العرب فكرياً وعقدياً من الخرافات والجهل، كما هم أحرار في الواقع، فتكاملت لديهم الحرية الفكرية والحسية.

كما دعا الدين الحنيف إلى تحرير العبيد لكي يصبح المجتمع المسلم كله نخبة من الأحرار، يستحق وصف خير أمة أخرجت للناس!.

---

[152] - انظر: مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، ص (817-818).

ولكن الحرية المطلقة في الجاهلية جعلت العرب يتصارعون فيما بينهم، فكان لا بد من وضع نظام الدولة التي تسهر على رعاية الناس ومصالحهم، وفي حال الاختلاف مع ولي الأمر يعود الجميع إلى الدستور الإلهي المتمثل بالكتاب والسنة، فلا صراع ولا دماء!، ولا ديكتاتورية ولا استبداد!، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا). (النساء: 59).

فالدولة المسلمة ضبطت الصراع الداخلي بين أفراد الأمة، ووجهته باتجاه الخارج، أي صرفت طاقات الصراع التي مزقت المجتمع العربي في الجاهلية نحو خارج الجزيرة العربية، فقاتل العرب الأكاسرة والقياصرة، حتى يحرروا الشعوب من القيود والأغلال، ثم تركوها تختار الإسلام إن شاءت أو تبقى على أديانها.

وهكذا فقد استثمر القرآن نزعة الحرية عند العرب في تحرير الشعوب قاطبة، وحولها من طاقة سلبية مدمرة، إلى طاقة إيجابية تنفع العرب وتحرر العالم، فأقام الأمة الواحدة بدلاً من القبائل المبعثرة، ورفع شعار التحرير بدلاً من الصراع الداخلي، وبهذا أصبح العرب أمة واحدة تقود العالم للهدى والفلاح!.

والحاكم هو عامل للأمة، يقوم بخدمتها، والسهر على مصالحها، وليس هو السيد المطلق المطاع في الخير والشر، وحين أحس الخليفة الراشدي عمر بنوع من الظلم مارسه ابن أمير مصر عمرو بن العاص بحق قبطي من سكانها، استدعاه وقال كلمته المشهورة: (مع متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟).

إن نعمة الحرية من أثمن ما أهداه هذا الدين إلى البشرية، فلا صدقية لمن يدعي بأنه انتشر بالسيف، فأمة الأحرار لا تسوق للناس القهر والعبودية، وإنما تهدي لهم تجاربها على طبق من ذهب، باذلة النفس والنفيس من أجل هداية الناس وتحريرهم، وفي هذا الصدد يحسن أن نذكر ما قرره غوستاف لوبون حيث قال: "وسيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصارهم، أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العربُ المغلوبينَ أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعضُ الأقوامِ النصرانيةِ الإسلامَ، واتخذوا العربيةَ لغةً لهم؛ فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل.

الخيل أداة الفروسية والحرية[153]

وقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة، فلما قهر النصارى عربَ الأندلس فضَّلَ هؤلاء القتلَ والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام. ولم ينتشر القرآن بالسيف إذن، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوبُ التي قهرت العرب مؤخراً، كالترك والمغول"[154]

◙ ◙ ◙

[153] – المصدر: http://www.ibtesama.com/vb/imgcache2/99728.gif

[154] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (127-128).

المبحث التاسع عشر

أصحاب العِرض المصون!

العرب أشد الأمم غيرة على نسائها وأعراضها، حتى إنهم كانوا في الجاهلية ليئدون بناتهم من شدة الغيرة والخوف من العار، إذ كانوا أهل غارات وثارات، يُقتل فيها الرجال، ويُستاق النساء والذراري سبايا... ولذلك عمد بعضهم إلى الوأد خشية العار.

ويذكر الألوسي سبباً آخر لغيرة العرب، وهو ولعهم بحفظ أنسابهم، يقول: "وأما كون العرب أغير من غيرهم، فلأنهم كانوا أشد الناس حاجة إلى حفظ الأنساب، ولذلك اعتنوا بضبطها غاية الاعتناء، لما امتنعوا عن سلطان يقهرهم، ويكف الأذى عنهم، ليكونوا به متظافرينَ على من ناوأهم متناصرين على من شاقهم وعاداهم، حتى بلغوا بألفة الأنساب تناصرهم على القوي، وتحكموا به حكم المتسلط المتشطط... وقد وصل العرب في الغيرة إلى أن جاوزوا الحد، حتى كانوا يئدون البنات مخافة لحوق العار بهم من أجلهن، أي يدفنونهن وهن أحياء".[155]

155 - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (140/1).

وقد كان من غيرتهم أنهم لا يذكرون أسماء النساء في الشعر، بل يكنون عنهن، ومن نخوتهم أنهم كنوا عن المرأة بالبيضة، والنخلة، والسرحة ـ الشجرة العظيمة من العضاة ـ، والشجرة، والشاة، والنعجة، والجؤذر ـ ولد البقرة الوحشية ـ، والريم والقلص ـ النوق الشواب ـ وغير ذلك.[156]

وربما أنفقوا أموالهم صيانة لأعراضهم، قال الشاعرحسان بن ثابت:[157]

أصونُ عرضي بمـالي لا أبدده

لا باركَ الله بعد العرض في المالِ

ولما جاء الإسلام، عزز شعور الغيرة في النفوس، وحرم الزنا الذي كان شائعاً في الجاهلية، وجعل له عقوبة الجلد والتشهير، قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ). (النور: 2-4).

---

156 - انظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (1/140-143).

157 - شرح ديوان حسان بن ثابت، لجمانة يحيى الكعكي، ص (164)، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م.

وبين الرسول الكريم ﷺ أن شعور الغيرة مما يحبه الله تعالى، وذلك حين بلغه قول سعدُ بن عبادة: لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربتهُ بالسيفِ غيرَ مُصفحٍ[158]. فقال ﷺ: (أتعجبونَ من غيرةِ سعدٍ؟. والله لأنا أغيرُ منه، واللهُ أغيرُ مني، ومن أجلِ غيرةِ الله حرَّمَ الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطن، ولا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من الله، من أجلِ ذلكَ بعثَ المنذرينَ والمبشرينَ، ولا أحدَ أحبُّ إليه المدحةُ من اللهِ، ومن أجلِ ذلك وعد اللهُ الجنةَ). [159]

وحرمت الشريعة الإسلامية زواج بعض النساء . وهن المحارم وما يلحق بهن . حرصاً على صفاء العلاقات الإنسانية، ونقاء الأعراض، وشفافية المجتمع، وذلك كما قال تعالى: (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا، حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ). (النساء: 22-24).

---

158 – يعني غير ضارب بصفح السيف، أي بجانبه.

159 – متفق عليه عن المغيرة، انظر: مشكاة المصابيح، (988/2)، الحديث (3309).

وهذه المحرمات من النساء كان أغلبها محرماً في الجاهلية، في حين أن بعض الأمم المجاورة للعرب وقعت في إثم الإباحة عندما أحلت نكاح بعض المحارم... وقد اهتدت العرب إلى ذلك التحريم إما بما عرفته من بقايا الحنيفية الإبراهيمية، أو بفطرتها النقية، وأياً كان... فالشريعة السمحة لا تأخذ أحكامها من الجاهلية ابتداءً، وإنما تأخذها من لدن حكيم عليم، وفي هذا الصدد يقول أحد المفسرين: "وقبل أن يمضي السياق القرآني في تقرير ما يحل بعد تلك المحرمات، يربط بين أصل التحريم والتحليل ومصدر التحريم والتحليل. المصدر الذي ليس لغيره أن يحرم أو يحلل؛ أو يشرع للناس شيئا في أمور حياتهم جميعا: (كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ).. هذا عهد الله عليكم وميثاقه وكتابه.. فليست المسألة هوى يتبع، أو عرفاً يطاع، أو موروثات بيئة تتحكم.. إنما هو كتاب الله وعهده وميثاقه ... فهذا هو المصدر الذي تتلقون منه الحل والحرمة؛ وترعون ما يفرضه عليكم وما يكتبه، وتطالبون بما كتب عليكم وما عهد إليكم كذلك. ومما يلاحظ أن معظم المحرمات التي حرمها القرآن في الآيات السابقة كانت محرمة في الجاهلية، ولم يكن يباح منها في عرف الجاهلية إلا ما نكح الآباء، والجمع بين الأختين على كره من العرف الجاهلي ذاته لنكاح زوجات الآباء، وقد كان يسمى عندهم مقيتا نسبة إلى المقت".[160]

إن حفظ العرض هو من القيم التي عرفها العرب في الجاهلية، ورسخها الإسلام، فلا خير في الأمم التي تخرج نساؤها عرايا كالسبايا والبغايا، ولا قيمة للحياة كلها إذا ثُلِمَ عرض الإنسان،

---

[160] – في ظلال القرآن،(623/2).

نسأل الله الحفظ والستر والصون لبنات العرب والمسلمين في الدنيا والآخرة، مما يريد لهن المبطلون والفاسدون، تحت شعارات براقة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب!.

الحجاب من سمة العرب والمسلمين[161]

[161] – المصدر : http://www.wathakker.info/beta/admin_panel/webroot/media/designadv/image/neqab5.jpg

المبحث العشرون:

فخر النساء: المرأة العربية

كان للمرأة العربية مكانة في الجاهلية، فقد تبوأت قبل الإسلام بقرون عدة منزلة سامية ورتبة عالية تشرئب لها أعناق النساء اليوم في أكثر البلاد تقدماً، وذلك حين تبوأت منصب الملكة الحاكمة، فقد حكمت بلقيس شعب اليمن منذ أيام النبي سليمان عليه السلام!، وهو حدث مهم في التاريخ، سجله القرآن الكريم في قصة الهدهد مع النبي سليمان عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ). (النمل: 22-23).

الملكة بلقيس[162]

[162] - المصدر: http://news.bbc.co.uk/media/images/38171000/jpg/_38171684_balqis_300.jpg

وليس الأمر مقصوراً على بلقيس، فقد تقلدت الملكة الزباء (زنوبيا) عرش تدمر سنة 267م، وكانت كما يقول الزركلي: "غزيرة المعارف، بديعة الجمال، مولعة بالصيد والقنص، تحسن أكثر اللغات الشائعة في عصرها، وكتبت تاريخاً للشرق".[163]

وفي الجاهلية كان هنالك النساء الشريفات، والسيدات في أقوامهن، ومنهن الشاعرات والأديبات، والكاهنات والساحرات، والسواد منهن من يعملن في بيوتهن لمساعدة أزواجهن، فمنهن من تقوم بالغزل والنسج والردن، إضافة إلى العمل المنزلي... وكان منهن الصانعات كردينة التي تصنع الرماح، قال امرؤ القيس:[164]

الملكة زنوبيا[165]

[163] – الأعلام، (41/3)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، 1989م.

[164] – انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، (92/2).

[165] – المصدر: http://www.alshohooh.ws/vb/showthread.php?t=102654

حَملتُ رُدينياً كأنَّ سنانَه

سنا لهبٍ لم يتصلْ بدخانِ[166]

ومنهن النائحات ومنهن القينات، ومنهن الوضيعات وأصحاب الرايات[167]، وهؤلاء غالباً من طبقة العبيد فالحرة لا تزني عند العرب[168]...

ولم يكن للنساء ـ في بعض الحالات ـ كامل الحقوق، بل كن يُغمطن ويُظلمن أحياناً في الميراث والمهر وغير ذلك.

ثم جاء الإسلام فأعلى شأن المرأة، سواء أكانت أماً، أو أختاً، أو زوجة، أو بنتاً، فقد قال الرسول ﷺ: (إنما النساءُ شقائقُ الرجال). [169]

---

[166] – الرّديني: الرمح، نسبة إلى ردينة التي تصنع الرماح.

[167] – انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، (453/11-454)، الحديث (8998)، دار الفكر، بيروت، 1420هـ/ 2000م.

[168] – عندما بايع الرسول عليه الصلاة والسلام النساء في فتح مكة وقال: (ولا يزنين). قالت له هند بنت عتبة: وهل تزني الحرة؟!. انظر: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، للسهيلي، (114/4).

[169] – رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة، والبزار عن أنس، ورمز السيوطي لصحته، انظر: الجامع الصغير، (562/2)، الحديث (2560).

وأمر الله تعالى بطاعة الوالدين منوهاً بفضل الأم في كتابه العزيز، حيث قال: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). (لقمان: 14-15).

وكان دور المرأة مهماً جداً بعد الإسلام، ابتداء من السيدة خديجة زوجة النبي ﷺ. الأولى، وانتهاء بكل امرأة مسلمة في المجتمع الإسلامي الكبير، وكان من ثمار هذا مشاركة المرأة المسلمة في جميع أنشطة الحياة ضمن الحضارة الإسلامية الخالدة، وفي هذا الصدد تقول زيغريد هونكة: "ألم تكن خديجة زوجة النبي الأولى، التي عاش معها أربعة وعشرين عاماً، وأنجب منها ستة أطفال، أرملة لها شخصيتها، ومالها ومكانتها الرفيعة في مجتمعها؟ لقد كانت خديجة نموذجاً لشريفات العرب، أراد لها الرسول أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجل تماماً.

وسار الركب، وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع، ويلقين المحاضرات في المساجد، ويفسرن أحكام الدين. فكانت السيدة تنهي دراستها على يد كبار العلماء، ثم تنال منهم تصريحاً، لتدرّس هي بنفسها ما تعلمته، فتصبح الأستاذة الشيخة. كما لمعت من بينهن أديبات وشاعرات، والناس لا

ترى في ذلك غضاضة أو خروجاً على التقاليد. إن النساء في صدر الإسلام لم يكن مظلومات أو مقيدات...".[170]

وعن الحضارة العربية الإسلامية أخذ الأوروبيون مبادئ احترام المرأة وتكريمها، وإعطائها حقوقها، فالعرب المسلمون هم من حرروا المرأة من قيود الرق والعبودية والأهواء، وأعادوا لها اعتبارها في الحياة، وفي هذا السياق بقول غوستاف لوبون: "إن الأوربيين أخذوا عن العرب مبادئ الفروسية وما اقتضته من احترام المرأة، والإسلام إذن، لا النصرانية، هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه، وذلك خلافاً للاعتقاد الشائع، وإذا نظرت إلى سنيورات نصارى الدور الأول من القرون الوسطى، رأيتهم لم يحملوا شيئاً من الحرمة للنساء، وإذا تصفحت كتب تاريخ ذلك الزمن وجدتَ ما يُزيل كل شكٍ في هذا الأمر، وعلمتَ أن رجال عصر الإقطاع كانوا غلاظاً نحو النساء قبل أن يتعلم النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى... وهنا نستطيع أن نكرر، إذن، قولنا إن الإسلام الذي رفع شأن المرأة، بل نضيف إلى هذا: أنه أول دينٍ فعل ذلك، ويسهل إثبات هذا ببياننا أن جميع الأديان والأمم التي جاءت قبل العرب أساءت إلى المرأة، وهذا ما أوضحناه في كتابنا الأخير.. ".[171]

---

[170] – شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ص (470).

[171] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (403-406).

يبقى أن نشير إلى أن المرأة العربية عموماً، والقرشية بخاصة، هي خيرُ امرأة في الدنيا، والخيرية نابعة من دورها الأسري والاجتماعي، شهد بذلك الرسول الأكرم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حيث قال: (خيرُ نساءٍ ركبنَ الإبلَ صالحُ نساءِ قريشٍ، أحناهُ على ولدٍ في صغرِهِ، وأرعاهُ على زوجٍ في ذات يده).[172]

[172] – متفق عليه عن أبي هريرة، انظر: مشكاة المصابيح، (928/2)، الحديث (3084).

المبحث الحادي والعشرون

من فضائلهم في الجاهلـــية

اجتمعت للعرب فضائل شتى في الجاهلية، جعلتهم مؤهلين لحمل الدعوة، وقد اختار الله منهم نبيه مُحَمَّداً ﷺ لينذرهم ويبشرهم، ومن ثم يقوموا من بعده بتبليغ هذه الرسالة شرقاً وغرباً في كافة أنحاء العالم، وذلك على الرغم ممن عاند منهم وجحد وكفر بالرسالة، فقد أبعد الله هؤلاء من طريق الدين القويم، وجعل من أبنائهم جنداً لدعوته، وعليه فقد كانت هذه الدعوة في المكان المناسب، وبيد الرجل المناسب لها، وهو سيدنا مُحَمَّد الذي اختاره ربه على علم، قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آَيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ). (الأنعام: 124).

الكعبة رمز للعدالة والمساواة[173]

وكان للعرب حظ من الحضارة، بل كانوا سباقين إليها قبل الروم والفرس، فلم يكونوا رعاعاً كما يصورهم أعداؤهم، فإن قدمهم بالحضارة أثبتُ من غيرهم، وفي هذا السياق يقول غوستاف لوبون: "وإذ كان عرب الحيرة وغسان متصلين بالفرس والرومان، كان تأثير هؤلاء في حضارة أولئك كبيراً، وغير ذلك أمر حضارة اليمن العربية التي هي أقدم من حضارة الرومان، والتي يجب أن يُبحث فيها عن بقايا حضارة العرب القديمة، والتي نأسف على بقائها بعيدة من يد البحث والتنقيب حتى

173 - مصدر الصورة: http://www.omaniyat.com/vb/imgcache/5659.png

الآن... والعرب هؤلاء قد ظهروا على مسرح التاريخ قبل الرومان بقرون كثيرة، وأنشأوا المدن العظيمة، وكانت علاقتهم بأرقى شعوب الأرض وثيقة".[174]

وكان لدى العرب مجموعة من الصفات الخلقية الحسنة، كالصدق، والأمانة، والوفاء بالعهد، والنجدة، وإغاثة الملهوف، وحسن الجوار، ونحو ذلك.. وهذه الصفات كانت موجودة عند معظمهم.. حتى عند بعض الكافرين منهم، فقد أقر أبو جهل بنبوة سيدنا مُحَمَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما منعه من متابعته الاستكبار والحسد كما تقدم.[175]

أضف إلى ذلك، أنهم كانوا يخشون ألسنة الناس فيما لو خالفوا الخلق القويم، فحين حاصروا بيت النبي ﷺ يوم الهجرة، لم يقتحموه، حيث قال "بعضهم لبعض: والله إنها للسبة في العرب، أنْ يُتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم، وهتكنا ستر حرمتنا، فهذا هو الذي أنامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه".[176]

---

[174] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (96-97).

[175] – راجع الفقرة (9): النشاط العقلي لدى أذكى الأمم.

[176] – الروض الأنف، للسهيلي، (229/2).

وأقاموا حلف الفضول لإنصاف المظلومين من ظالميهم، حيث تعاهدت القبائل من قريش "على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم، ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته".[177]

هكذا كان العرب تربة صالحة ليستنبت فيها الخلق الكريم، فجاء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم متمماً لمكارم الأخلاق، فرفعهم الله وزكاهم بهذا الدين، وصدق سبحانه وتعالى إذ يقول: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ). (سورة الجمعة: 2).

[177] – السيرة النبوية، لابن هشام، (155/1).

المبحث الثاني والعشرون:

من فضائلهم في الإســلام

فضائل العرب بعد الإسلام كالنجوم، لا تعد ولا تحصى!، فمن ذلك:

أولاً: أنهم مادة هذا الدين، وجنده الأوائل. ويكفيهم هذا ذكراً وشرفاً وفخراً، قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ). (الزخرف: 44).

ثانياً: تضحياتهم في الفتوحات الإسلامية، وتحملهم مسئولية تحرير الشعوب، ابتغاء مرضاة الله تعالى!.

ثالثاً: نقلهم الكتاب والسنة من غير دس ولا تحريف.

رابعاً: إقامتهم للحضارة الإسلامية التي كانت السبب في تطور الإنسانية في العصور اللاحقة.

خامساً: نشرهم للقيم العالمية، من العدل والحرية وحقوق الإنسان، ورعايتهم لها.

سادساً: نشرهم للغة العربية التي هي أقدم لغة عرفتها الحضارة الإنسانية.

وغير ذلك كثير.. كثير... مما هو موجود في الدراسات الحضارية والآثار الباقية.

وبذلك استحقت هذه الأمة وصف الخيرية، قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ). (آل عمران: 110). والأمة هنا تشمل العرب ومن آمن معهم، ولكن وقت نزول هذه الآية لم يكن من آمن معهم من الشعوب الأخرى إلا قليل!.

والإسلام الذي حمله العرب للناس جميعاً هو دين الفطرة، يتفق مع العقل، ويدعو للعلم، ويحب السلام، وهو دين سهل واضح، لا لبْس فيه ولا غموض، قوته في التوحيد، وعظمته في المساواة بين الناس، وهذا مما ساعد على انتشاره بيسر وسهولة، يقول غوستاف لوبون تحت عنوان: (فلسفة القرآن): "وتشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض، وفى هذه السهولة سر قوة الإسلام، والإسلام وإدراكه سهل، خال مما نراه في الأديان الأخرى، ويأباه الذوق السليم، غالباً، من المتناقضات والغوامض، ولا شئ أكثر وضوحاً واقل غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إلهٍ واحدٍ، وبمساواة جميع الناس أمام الله، وببضعة فروض، يدخل الجنة من يقوم بها، ويدخل النار من يعرض عنها. وإنك إذا ما اجتمعت بأي مسلم من أية طبقة، رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقد،

ويسرد لك أصول الإسلام في بضع كلمات بسهولة، وهو بذلك على عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثاً عن التثليث والاستحالة وما ماثلهما من الغوامض من غير أن يكون من علماء اللاهوت على دقائق الجدل. وساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من العدل والإحسان كلَّ المساعدة على انتشاره في العالم، ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام، كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطنية، فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام ، كما نفسر السبب في عدم تنصر أية أمة بعد أن رضيت بالإسلام ديناً، سواء كانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة".[178]

ويشهد لعظمة هذا الدين بقاؤه على أصوله متوارثاً دون تحريف، وتمسك الناس به عبر القرون المتطاولة، وتأثيره في حياتهم الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهو تأثير انفرد به دون سائر الأديان، يقول غوستاف لوبون: "تأثير دين مُحَمَّد في النفوس أعظم من تأثير أي دين آخر، ولا تزال العروق المختلفة التي اتخذت القرآن مرشداً لها، تعمل بأحكامه كما كانت تفعل منذ ثلاثة عشر قرناً، أجل، قد تجد بين المسلمين عدداً من الزنادقة والأَخْلِياء، ولكنك لن ترى من يجرؤ منهم على انتهاك حرمة الإسلام في عدم الامتثال لتعاليمه الأساسية، كالصلاة في المساجد، وصوم رمضان

---

178 - حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (125).

الذي يراعي جميع المسلمين أحكامه بدقة، مع ما في هذه الأحكام من صرامة لاتجد مثلها في صوم الأربعين الذي يقوم به بعض النصارى".[179]

لقد أصبح العرب بهذا الدين رسلَ سلامٍ ومحبة وأخوة بين الناس، وسادتْ بهم ثقافةُ التعايش بين الشعوب، وصارت الإنسانية وكأنها أسرة واحدة بألوانها وأعراقها، وانتشرت رياح الحرية وأجواء التسامح الديني، وأضحى الناس تبعاً لهم يقلدونهم، ويتسمون بأسمائهم حتى لو لم يكونوا من المسلمين!، وهذه المزايا كانت محل إعجاب وثناء من الباحثين والمستشرقين، وفي هذا الصدد تقول زيغريد هونكة: ".. هذه الإنسانية، وهذا التسامح العربي هما اللذان دفعا الشعوب ذات الديانات المختلفة إلى أن تعيش في انسجام مدهش في هذا الضوء العربي الهادئ، وأن تبدأ نموها وتوسعها وازدهارها. ولأول مرة يتحرر أصحاب المذاهب المسيحية، كالنساطرة والقائلين بطبيعة واحدة للمسيح Monophysiste من اضطهاد كنيسة الدولة، فتنتشر مذاهبهم بحرية ويسر. وكما تميل الزهرة إلى النور ابتغاء المزيد من الحياة، هكذا انعطف الناس، حتى من بقي منهم على دينه، إلى السادة الفاتحين، يقلدونهم في طرق معيشتهم وسلوكهم، ويتمثلون بأخلاقهم، ويأخذون عنهم لغتهم، ويسمون أولادهم تسميات عربية، وبمرور الوقت يصير ملبسهم ومعيشتهم وسلوكهم عربياً. حتى إن الطبيب من بعلبك، والتاجر من الموصل، وطالب الفلسفة من غرناطة، ليلتقون في سوق القاهرة أبناء شعبٍ واحدٍ، لا يستطيع أحد أن يفرق بينهم.

---

[179] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (418).

لم يكن ثمة إكراه من سلطة، يدخل بين هذا وذاك، ولكنها الحاجة دفعتهم إلى هذا التشبه الكامل ليدخلوا في عالم أولئك العرب، وكان المسيحي أو اليهودي يشعر بالفخر والعزة إذا حمل اسماً عربياً ما وسعه الشعور، فيما عدا أسماء المؤمنين المميزة كمحمد وعبد الله. مع أن هذا التقليد شاع على الرغم من عدم ارتياح المسلمين لانتهاك حرمة أسمائهم المقدسة".[180]

هذا هو الإعجاز الحضاري الذي انبثق بعد النبوة[181]، فقد جعل الإسلام من رعاة الغنم رعاةً للأمم، ومن سكان الصحراء بناة لحضارة بغداد ودمشق والأندلس، فلنشدو مع شاعر الإسلام مُحَمَّد إقبال مزهوين بمجد الإسلام: [182]

الدين لنا والحــق لــنا

والـعـدل لنـا والكـل لنا

أضحى الإسلام لنا ديـــنا

وجـميـع الكون لنا وطــنا

توحيد الله لنــا نـــورٌ

أعددنا الـروح له سـكنــا

---

[180] – شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ص (366).

[181] – انظر مبحث: الإعجاز الحضاري في القرآن الكريم ضمن كتاب (دراسات في الإعجاز الخالد).

[182] – ديوان نشيدنا، ص (43-44).

بنيت في الأرض معــابدها

والبيت الأول كعبتنـــا

الكـون يزول ولا تمــحى

في الأرض صحـائف سؤددنـا

علمُ الإســلام على الأيـام

شـعـار المـجـد لأمتنـا

قولوا لسماء الكون لقـــد

طـاولنا النـــجـم برفعتنـا

وأذان المســلم كــان لـه

في الغرب صـدى من همتـنـا

روض الإســـلام ودوحته

في أرض رواها دمنـــا

إن اسـمَ محـمــدٍ الهـادي

روحُ الآمـــال لنهضتـــنا

تلك هي بعض فضائلهم في نشر هذا الدين وهداية الأمم، أوردناها من باب التمثيل لا الحصر، لأن الحصر يحتاج إلى دراسات طويلة في مجلدات، والحر تكفيه الإشارة كما يقال.

قصر الحمراء في الأندلس شاهد على عظمة الحضارة الإسلامية[183]

[183] – المصدر: http://media.albayan.ae/reda%20potos/hamrraa%20(2).jpg

المبحث الثالث والعشرون

فضائلهم كما وردت في الحديث النبوي

السنة النبوية الشريفة جامعة لشتى المعارف الدينية والاجتماعية والإنسانية، وقد وردت فيها أحاديث كثيرة تشير إلى فضائل الأمم والشعوب، ومن ذلك ما جاء فيها مشيراً إلى فضل العرب، وتقدمهم على من سواهم، ومكانتهم الرفيعة عند الله ورسوله ﷺ، وأن من علامات الساعة هلاكهم، نقتبس منها الأحاديث الآتية:

أولاً – مكانة قريش العظمى

قال رسول الله ﷺ يبين مكانة قريش عند الله تعالى: (من أراد هوان قريش أهانه الله).[184]

ثانياً – الخلافة في قريش

قال رسول الله ﷺ يبين أن الخلافة في قريش ما استقامت على الدين: (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين).[185]

---

184 – رواه الترمذي عن سعد، انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، (9/209-210)، الحديث (6788)، ومشكاة المصابيح، (3/1688)، الحديث (5979).

185 – رواه البخاري عن معاوية، انظر: مشكاة المصابيح، (3/1687)، الحديث (5973).

ثالثاً – قريش هي القدوة في كل الحالات

قال رسول الله ﷺ يبين قيادة قريش للناس في مجالي الخير والشر:(الناس تبع لقريش في الخير والشر). [186]

رابعاً – مناقب الأنصار

قال رسول الله ﷺ يبين فضيلة الأنصار خاصة: (آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار). [187]

خامساً – مناقب بعض القبائل

قال رسول الله ﷺ يبين فضائل عدد من القبائل العربية: (قريشٌ، والأنصارُ، وجهينةُ، ومزينةُ، وأسلمُ، وأشجعُ، وغِفارٌ: مواليَّ، ليس لهم مولى دونَ اللهِ ورسوله). [188]

---

[186] – رواه مسلم عن جابر، انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، (209/9)، الحديث (6787)، ومشكاة المصابيح، (1687/3)، الحديث (5971).

[187] – متفق عليه عن أنس، انظر: مشكاة المصابيح، (1751/3)، الحديث (6206).

[188] – متفق عليه عن أبي هريرة، انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، (214/9)، الحديث (6794)، ومشكاة المصابيح، (1688/3)، الحديث (5976).

سادساً – التحذير مما قد يصيبهم من فتن

قال رسول الله ﷺ يحذر من فتنة تستأصل العرب: (ستكون فتنة تستنطف العرب، قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف).[189]

سابعاً – هلاك العرب من علامات الساعة

قال رسول الله ﷺ يبين أن هلاك العرب أحد علامات الساعة: (من اقتراب الساعة هلاك العرب).[190]

ثامناً – قلة العرب وقت ظهور المسيح الدجال

تحدث رسول الله ﷺ عن قلة العرب إبان الدجال، مما يجعل أمره يستفحل ولا يقاومه أحد، فعن أم شريك، قالت: قال رسول الله ﷺ (ليفرنَّ الناس من الدجال حتى يلحقوا بالجبال). قالت أم شريك: قلت: يا رسول الله! فأين العرب يومئذٍ؟ قال: (هم قليل).[191]

تاسعاً – السيد المسيح عيسى بن مريم ينزل في أرضهم ويقتل الدجال في أرضهم!

---

189 – رواه الترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو، انظر: مشكاة المصابيح، (1487/3)، الحديث (5401).

190 – رواه الترمذي عن طلحة بن مالك، انظر: مشكاة المصابيح، (1691/3)، الحديث (5991).

191 – رواه مسلم، انظر: مشكاة المصابيح، (1510/3)، الحديث (5477).

من فضل الله على العرب أن جعل أرضهم هي أرض النبوات والملاحم والبداية والنهاية، فقد ورد في الحديث النبوي قصة الدجال وفتنته العظيمة، وأن عيسى بن مريم يقتله بفلسطين، ولكن من أين يبدأ عيسى رحلة التطهير؟، إنه يبدأ من دمشق، حيث ينزل فيها، ففي الحديث عنه ﷺ: (....فبينما هو كذلك ـ أي الدجال ـ إذْ بعثَ الله المسيحَ بنَ مريم، فينزل عند المنارة البيضاء،

شرقي دمشق بين مهروذتين[192]، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا

طأطأَ رأسَه قطر[193]، وإذا رفعه تحدَّرَ منه مثلُ جُمان[194] كاللؤلؤ[195]، فلا يحل لكافرٍ يجدُ مِنْ ريح نَفَسِهِ إلا مات، ونَفَسُهُ حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يُدركه بباب لُدٍّ[196] فيقتُلُه). [197]

---

[192] – أي لابس ثوبين مصبوغين بالورس ثم الزعفران، انظر: مرقاة المفاتيح، للقاري، (197/1).

[193] – أي عرق.

[194] – الجمان هو حب يتخذ من الفضة.

[195] – أي يشبه اللؤلؤ في الصفاء والبياض.

[196] – هي بلدة قريبة من القدس.

[197] – من حديث رواه مسلم والترمذي عن النواس بن سمعان، انظر: مشكاة المصابيح، (1507/3-1509)، الحديث (5475).

المسجد الأموي بدمشق الفيحاء[198]

عاشراً – بلادهم ساحة يوم القيامة

تبدأ مشاهد يوم القيامة بنار تخرج من عدن، وتنتهي في بلاد الشام حيث المحشر، فقد قال رسول الله ﷺ: (ستخرج نار من نحو حضرموتَ، أو من حضرموتَ، تحشرُ الناسَ). قلنا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟. قال: (عليكم بالشام).[199]

---

[198] – المصدر: https://www.zamanalwsl.net/GetCustomImage/770/438/4d0532ea1e9c39c2d087f3a9.jpg

[199] – رواه الترمذي عن عبد الله بن عمر، انظر: مشكاة المصابيح، (3/1766-1767)، الحديث (6265).

أحد عشر – بغض العرب يقود إلى الردة

قال رسول الله ﷺ لسلمان الفارسي يحذره من بغض العرب: (لا تبغضني فتفارق دينك). قلتُ ـ أي سلمان – : يا رسول الله، كيف أبغضك وبك هداني الله؟. قال: (تُبغض العرب فتبغضني). [200]

تلك هي بعض الآثار النبوية التي تنوه بفضلهم، وكفى بها من أدلة تبين عظيم مقامهم عند الله ورسوله ﷺ من جهة، وعند الناس من جهة أخرى، كما تبين دورهم في مقاومة الباطل، وأن هلاكهم يعني قرب الساعة، فلا فائدة من بقاء الحياة من دونهم، فهم قوامها ومددها، وهم حملة الخير وجند الإسلام في هذا الوجود، فسبحان من أعطاهم من الفضل ما لم يعط غيرهم!، والله ذو فضل عظيم.

[200] – رواه الترمذي عن سلمان، انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، (224/9)، الحديث (6813).

المبحث الرابع والعشرون

آل البيت ﷺ سادة العرب!

آل البيت هم فخر الدنيا وسادة الناس، وكلهم من العرب، باستثناء السيدة صفية بنت حيي بن أخطب المنحدرة من نسب يهودي، وهي من بني النضير، وكانت من سبي خيبر.[201]

من فضائل آل البيت[202]

---

201 – انظر: السيرة النبوية، (4/255-256).

202 – المصدر: http://imamhussain-lib.com/arb/2428

وأما باقي أزواج النبي ﷺ فكلهن عربيات، وقد بقي نسبه الشريف من خلال ابنته فاطمة ﵂، وكانت قد تزوجت بعلي ﵁، ومنهما بقي نسب آل البيت الأطهار، فآل البيت الذين لهم عقب كلهم في الأصل عرب قرشيون هاشميون.

والدليل على أن نساء النبي أمهات المؤمنين وسيدات بيت النبوة من آل البيت قوله تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا، وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا، وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا). (سورة الأحزاب: 32-34).

فهذه الآيات خطاب مباشر من الله تعالى لنساء نبيه ـ ﷺ ـ يأمرهن فيه بالتقوى والحجاب، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، حتى يطهرهم الله بهذه العبادات من الرجس، ويأمرهن بذكر الآيات والحكمة. وليس ثمة ما يشير إلى أن هذه الآيات كانت بحق أحد غير نساء النبي ـ ﷺ ـ كما يوضح ذلك سياق الآيات[203]، ولو أن نساء الرجل لسن من أهل بيته كما يظن البعض؛ إذاً لانتفى أن تكون خديجة من آل البيت، وانتفى أن تكون فاطمة من آل علي، رضي الله تعالى عنهن جميعاً.

[203] – انظر: مختصر تفسير ابن كثير، (3/94-95).

فإن قيل: فما القول فيما روته عائشة، حيث قالت: خرج الرسول ـ ﷺ ـ غداةً وعليه مِرطٌ مُرحَّل من شعر أسود، فجاء الحسنُ بن عليٍ فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) [204]. أليس يدل على أن المراد من آل البيت هؤلاء فقط؟.

قلنا: هذا الحديث يدل على أن فاطمة وأولادها وزوجها علي ﷺ جميعاً من آل البيت، ولكن لا ينفي أن له أهلاً سواهم، فأهل الرجل هم أزواجه وأولاده وأصهاره، فالآية عامة، والحديث من إطلاق الكل وإرادة الجزء، أي هؤلاء بعض من آل بيتي؛ وإلا فلا يمكن أن تكون البنت من آل البيت دون سواها من زوجة ونحوها..

ويؤكد ما ذهبنا إليه قوله تعالى: (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) (سورة هود: 73). فالآية نزلت في شأن سارة زوج سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهي دعاء من الملائكة لأهل بيت إبراهيم، ولم يكن في هذا البيت إلا إبراهيم وزوجه، فكلمة أهل البيت تدل على أن الزوجة مقصودة في هذه الآية، وهي من آل البيت.

وقد بقي نسبه الشريف من جهة السيدة فاطمة ﷺ، ونحن نعتقد بطهارة هذا النسب، وقد قيل في فضل الانتساب لآل البيت الأطهار:

---

[204] – رواه مسلم، انظر: مشكاة المصابيح، (1731/3).

من مثلكم لرسولِ الله ينتســـبُ

ليت الملوك لهــا م جدكم نسبُ

ما للسلاطين أحســـابٌ بجانبكم

هذا هو الشرف المعروف والحسبُ

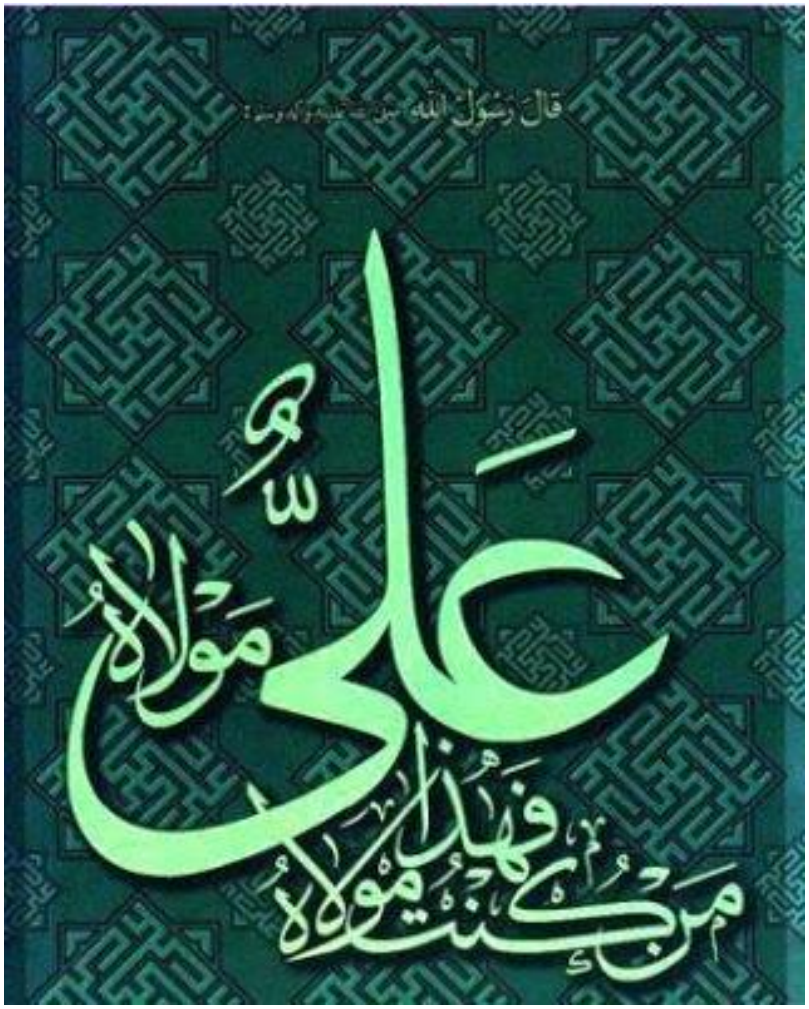

من فضائل سيدنا علي [205]

[205] – المصدر: http://asimjihad.blogspot.ca/2009/07/blog-post_04.html

وآل بيت النبوة لا يزينهم الملك بل هم يزينون الملك، فإذا جاءهم الملك طوعاً فحباً وكرامة، وإذا لم يأتهم كانوا أزهد الناس فيه، ولذلك تنازل سيدنا الحسن عن الخلافة لمعاوية حرصاً على وحدة الأمة، رضي الله عن الصحابة والآل جميعاً، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.[206]

يبقى أن نشير بأنه كان للنبي ﷺ سريتان: الأولى مارية بنت شمعون القبطية المصرية، وقد ولدت له ابنه إبراهيم، ومات في حياته ﷺ. والثانية ريحانة بنت زيد من بني النضير، ويقال من بني قريظة، وماتت عنده ﷺ.[207]

وكونه ﷺ قد تزوج بواحدة من غير العرب، أو كانت له سريتان من غير العرب، فهذا مما يعزز بأنه رسول للعالمين، ورحمة الله للإنسانية أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

[206] – انظربحث الخلافة شورى أم وصاية في كتاب: الخلافة بعد الرسول ـ ﷺ ـ شورى أم وصاية، دراسة قرآنية موضوعية.

[207] – انظر: البداية والنهاية، (5/264-266).

المبحث الخامس والعشرون:

الصحابة صفوة الله بعد الأنبياء والمرسلين

الصحابة هم جند الله تعالى وجند رسوله مُحَمَّد ﷺ، وهم الجيل الأول من هذه الأمة، وهم السابقون الأولون، وهم أعبد أهل الأرض بعد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، التفوا حول الرسول ﷺ، وآزروه بالنفس والنفيس طلباً لرضائه سبحانه وتعالى.

وقد زكاهم الله تعالى قبل أن يخلقهم، حين ذكرهم في التوراة والإنجيل، وذكر من صفاتهم أنهم ملتفون حول النبي مُحَمَّد كما تلتف الأشطاء، وهي سيقان إضافية تنبت حول الساق الأصلية فتقويها وتحفظها، قال تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا). (الفتح: 29).

كما وصفهم رسوله ﷺ بأنهم خير أهل الأرض، وكفى به من وصف! روى جابر، قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، قال لنا النبي ﷺ: (أنتم اليوم خير أهل الأرض). [208]

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار الواردة بفضلهم ومناقبهم كثيرة جداً، اكتفينا بالإشرارة إلى بعضها، ومن أحب أن يعرف فضلهم فلينظر إلى قبورهم، كيف تركوا أوطانهم، وهاجروا إلى نبيهم مُحَمَّد ﷺ، ثم جاهدوا من بعده حتى ماتوا أو استشهدوا في مشارق الأرض ومغاربها ﷺ وأرضاهم.

ولكن من هو الصحابي؟

للصحابي تعريفات كثيرة، نذكر منها تعريف المحدثين، فقد "قال أحمد بن حنبل: أصحاب رسول الله ﷺ كل من صحبه شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه... وأصحابُ رسول الله ﷺ كثيرون، فإن رسول الله شهد حنيناً ومعه اثنا عشر ألفاً سوى الأتباع والنساء، وجاء إليه هوازن مسلمين فاستنقذوا حريمهم وأولادهم، وترك مكة مملوءة ناساً، وكذلك المدينة أيضاً، وكل من اجتاز به من

[208] – متفق عليه، انظر: مشكاة المصابيح، (1754/3)، الحديث (6219).

قبائل العرب كانوا مسلمين، فهؤلاء كلهم لهم صحبة، وقد شهد معه تبوك من الخلق الكثير ما لا يحصيهم ديوان، وكذلك حجة الوداع، وكلهم له صحبة".[209]

وبما أن الإسلام ولد في بلاد العرب، وبزغت شمسه فيهم، فمن الطبيعي أن يكون أكثر معتنقيه الأوائل من العرب، وهناك قلة من الشعوب غير العربية ممن كان أفرادها يعيشون بمكة أو المدينة وأسلموا، ومن هؤلاء بلال الحبشي ﷺ، وهو مؤذن رسول الله ﷺ، وصهيب الرومي ويقال إن أصله عربي واختطف لبلاد الروم[210]، وسلمان الفارسي، وغيرهم ﷺ وأرضاهم.

[209] – أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، تحقيق علي معوض، وعادل عبد الموجود، (1/119-120)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ/ 2003م.

[210] – انظر: أسد الغابة،لابن الأثير، (3/38 – 39).

الصحابة جميعهم عدول رضي الله عنهم[211]

[211] – المصدر: https://www.anwaarnet.com/?app=article.show.4201

المبحث السادس والعشرون:

مـا قيل عن العرب في حضرة الملوك!

كان بعض الملوك في الجاهلية يغضون من قيمة العرب، وذلك لأن بلادهم صحراء خاوية، وأقدامهم حافية، وأجسادهم عارية، وليس لديهم سلطة قوية غاشمة، ولا قصور فارس والروم.

ولكن شظف العيش هذا هذا لم يمنع بعض العرب من أن يذبَّ عن قومه بين يدي الملوك، وقد حفظ لنا التاريخ نماذج وقصصاً في هذا الصدد، نذكر منها مناظرة جرت بين النعمان بن المنذر وكسرى ملك الفرس في شأن العرب، وهذه هي:

روى ابن القطامي عن الكلبي، قال: قدِم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ماذكروا. فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جمع الأمم. ولم يستثنِ فارسَ ولا غيرها. فقال كسرى وأخذته عزة الملك:

يا نعمان! لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم، ونظرت في حالة من يقدم عليّ من وفود الأمم، فوجدت للروم حظاً في اجتماع ألفتها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها، وإن لها ديناً يبين حلالَها وحرامَها ويرد سفيهها ويقيم جاهلَها.

ورأيت الهند نحوا من ذلك في حكمتها وطبها وكثرة أنهار بلادها وثمارها وعجيب صناعتها وطيب أشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها.

وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفروسيتها وهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد، وأن لها ملكاً يجمعها.

والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون، وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس، لهم ملوك تضم قواصيهم وتدبر أمرهم.

ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر ودين ولا دنيا لا حزم ولا قوة. ومع أن مما يدل على مهانتها وذلها، وصغر همتها، محلتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة، يقتلون أولادهم من الفاقة، ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة، قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها، فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع، لثقلها وسوء طعمها

وخوف دائها، وإن قَرَى أحدهم ضيفاً عدها مكرمة. وإن أطعم أكلة عدها غنيمة، تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ، ما خلا هذه التنوخيةَ التي أسس جدي اجتماعها وشد مملكتها، ومنعها من عدوها. فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا. وإن لها مع ذلك آثاراً ولبوساً وقرى وحصوناً وأموراً تُشبه بعض أمور الناس يعني اليمن، ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس، حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس.

قال النعمان: أصلح الله الملك: حق لأمةٍ الملك منها أن يسمو فضلها ويعظم حظها وتعلو درجتها، إلا أن عندي جواباً في كل ما ينطق به الملك في غير رد عليه، ولا تكذيب له؛ فإن أمنني من غضبه نطقت به.

قال كسرى: قل فأنت آمن.

قال النعمان: أما أمتك أيها الملك فليست تنازِع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبُحْبوحَةِ عزها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك. وأما الأمم التي ذكرت فأي أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها.

قال كسرى: بماذا؟!.

قال النعمان: بعزها ومَنَعَتِها وحسن وجوهها، وبأسها وسخائها، وحكمة ألسنتها وشدة عقولها، وأنفتها ووفائها.

فأما عزها ومنعتها: فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد، ووطّدوا الملك، وقادوا الجند، لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل، حصونهم ظهور خيلهم، ومهادهم الأرض، وسقوفهم السماء، وجنتهم السيوف، وعدتهم الصبر، إذ غيرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور.

وأما أحسن وجوهها وألوانها: فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة، والصين المنحفة، والترك المشوهة، والروم المقشرة.

وأما أنسابها وأحسابها: فليست أمة من الأمم إلا وقد جَهِلت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها، حتى إن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه. وليس أحد من العرب إلا ويسمى آباءه أباً فأباً، أحاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم. فلا يدخل رجل في غير قومه، ولا ينتسب إلى غير نسبه، ولا يدعي إلى غير أبيه.

وأما سخاؤها: فإن أدناهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه في حموله وشبعه وريّه، فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفِلْذة ويجتزي بالشربة، فيعقرها وله ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحدوثة وطيب الذكر.

وأما حكمة ألسنتهم: فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه، مع معرفتهم بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس.

ثم خيلهم أفضل الخيل، ونساؤهم أعف النساء، ولباسهم أفضل اللباس، ومعادنهم الذهب والفضة، وحجارة جبالهم الجِزْعُ، ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفن، ولا يقطع بمثلها بلد قفرٌ.

وأما دينها وشريعتها: فإنهم متمسكون به، حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهراً حرماً، وبلداً محرماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم، ويذبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغمه منه فيحجزه كرمه، ويمنعه دينه عن تناوله بالأذى.

وأما وفاؤها: فإن أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الإيماء، فهي وَلَث (أي عهد) وعقدة، ولا يحلها إلا خروج نفسه، وإن أحدهم يرفع عوداً من الأرض فيكون رهناً بدينه، فلا يُغْلَق رهنه ولا تخْفر ذمته، وإن أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به وعسى أن يكون نائياً عن داره، فيصاب فلا يرضى حتى يفني

تلك القبيلة التي أصابته، أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره، وأنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة، فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله.

وأما قولك أيها الملك: يئدون أولادهم، فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفةً من العار وغيرةً من الأزواج.

وأما قولك: إن أفضلَ طعامهم لحومُ الإبل على ما وصفت منها، فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً له، فعمدوا إلى أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم، مع أنها أكثر البهائم شحوماً، وأطيبها لحوماً، وأرقها ألباناً، وأقلها غائلةً، وأحلاها مضغةً، وإنه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه.

وأما تجاربهم وأكلُ بعضهم بعضاً وتركُهم الانقيادَ لرجلٍ يسوسهم ويجمعهم، فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنست من نفسها ضعفاً، وتخوفت نهوضَ عدوها إليها بالزحف، وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم، فيقولون إليهم أمورهم، وينقادون لهم بأزمتهم.

وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم، حتى لقد حاولوا ن يكونوا ملوكاً أجمعين، مع أنفتهم من أداء الخراج والوطف (أي استحصال المال منهم بالجبر والظلم) بالعسف.

وأما اليمن التي وصفها الملك: فلما أتى جدُّ الملك إليها الذي أتاه عند غلبة الجيش له على ملك متسق، وأمرٍ مجتمع، فأتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً قد تقاصر عن إيوائه، وصغر في عينه ما شيد من بنائه، ولولا ما وتر به من يليه العرب لمال إلى مجال، ولو جد من يجيد الطعان ويغضب للأحرار، من غلبة العبيد الأشرار.

قال: فعجب كسرى لما أجابه النعمان به. وقال: إنك لأهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك ولما هو أفضل، ثم كساه من كسوته، وسرحه إلى موضعه من الحيرة.[212]

أنقاض أحد المباني في مدينة الحيرة[213]

212 - وللقصة بقية تركناها تجنباً للإطالة.. انظر: كتاب: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للألوسي، (147/1- 151).

213 - المصدر: https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/e/e0/Hira_Ruined_Entry.jpg

مما يُستفاد من هذه المناظرة:

أولاً: قدرة العربي على دفع الشبهات والافتراءات بالحجج الدامغة.

ثانياً: صفاء ذهن العربي حيث لم ينس النعمان شيئاً ذكره الملك إلا ردَّ عليه.

ثالثاً: شجاعة العربي في الرد بين يدي كبار الملوك.

رابعاً: تفوق العنصر العربي على غيره في الجاهلية، فكيف لا يتفوق على غيره وقد حباه الله الإسلام بعد ذلك.

خامساً: إن معظم ما يُلصق بالعرب من تهم هي شبهات لا أساس لها.

سادساً: ينبغي لكل عربي أن لا يتوقف في الدفاع عن قومه، فهم مادة الإسلام، وفخر بني البشر، لا يحبهم إلا مؤمن، أو منصف، ولا يكرههم إلا منافق، أو حاقد جبان.

المبحث السابع والعشرون

مما تميز به العرب دون سائر الأمم!

تميز العرب بميزات شتى لا تجدها في سائر الأمم، فمن ذلك:

أولاً: نزول القرآن بلغتهم وديارهم وعلى نبي منهم

وفي هذا الصدد قال تعالى: (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا). (مريم: 97). وقد رفعهم الله بهذا القرآن، وجعله خاتمة المعجزات وأعظمها وأبقاها، وجعلهم أئمة الهدى والبيان، وجعل علاقتهم بالدين علاقة تبادلية فإما أن يقوموا به، أو يقوم بهم، وفي هذا الصدد يقول الرافعي تحت عنوان: (الجنسية العربية في القرآن): "وحسبه معجزة ما تقول فيه من صفة الجنسية العربية التي جعل الأمم أحجاراً في بنائها، والدهرَ على تقادمه كأنه أحد أبنائها، وأقام منها معضلة سياسية، في الأرض وضعها ونقدها، وفي السماء حلها وعقدها، وشد بها المسلمين، فهم إذا ائتلفوا انضموا كالبنيان المرصوص، وإذا تفرقوا كانوا في تيجان الممالك كالفصوص، وما إن يزالوا في في التاريخ مرة أصوله، ومرة فصوله، وإن لم يقوموا أحياناً بالدين، قام بهم الدين إلى حين".[214]

---

[214] – تاريخ آداب العرب، (82/2).

ثانياً: العرب كانوا أعظم المؤثرين في الأمم والشعوب

لقد أخذ الناس حضارة العرب، وحين غابوا عن مسرح التاريخ ظل تأثيرهم باقياً حتى فيمن غيبوهم، حيث أثروا بهم عن طريق الدين والعادات والتقاليد، كما أثروا في غير المسلمين عبر العلوم والنهضة العلمية التي نقلوها إليهم، وفي هذا السياق يقول غوستاف لوبون: "ولا نرى في التاريخ أمةً ذات تأثير بارز كالعرب، وذلك أن جميع الأمم التي اتصل بها العرب اعتنقت حضارتَهم، ولو حيناً من الزمن، وأن العرب لماغابوا عن مسرح التاريخ انتحل قاهروهم كالترك والمغول إلخ، تقاليدهم وبدوا للعالم ناشرين لنفوذهم، أجل، ماتت حضارة العرب منذ عدة قرون، ولكن العالم لا يعرف اليومَ غير دين أتباع النبي ولغتهم في البلاد الممتدة من المحيط الأطلنطي إلى السند، ومن البحر البحر المتوسط إلى الصحراء.

ولم يتجل تأثير العرب في الشرق في الديانة واللغة والفنون وحدَها، بل تجلى في ثقافته العلمية أيضاً، ومن ذلك أن المسلمين كانوا ذوي صلات مستمرة بالهند والصين، وأنهم نقلوا إليهما قسماً كبيراً من المعارف العلمية التي عدها الأوربيون من أصل هندوسي أو صيني فيما بعد"[215]

ثالثاً: انفراد العرب بالحضارة المتكاملة

فمن تكامل حضارتهم أن اجتمعت فيها عناصر شتى لم تجتمع لغيرهم، من ذلك: التمدن المتفوق، والدين القويم الحي، والدولة العظيمة، والعلوم والاختراعات، والتأثير في أوروبة وتمدينها،

215 - حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (564).

يقول غوستاف لوبون: "إن الأمم التي فاقت العرب تمدناً قليلة إلى الغاية، وإننا لا نذكر أمةً كالعرب، حققت من المبتكرات العظيمة في وقت قصير مثل ما حققوا، وإن العرب أقاموا ديناً من أقوى الأديان التي سادت العالم، أقاموا ديناً لا يزال تأثيره أشدَّ حيويةً مما لأيِّ دينٍ آخر، وإنهم أنشأوا من الناحية السياسية، دولةً من أعظم الدول التي عرفها التاريخ، وإنهم مدَّنوا أوربة ثقافة وأخلاقاً، فالعروقُ التي سمتْ سموَ العربِ وهبطتْ هبوطهم نادرةٌ، ولم يظهر كالعرب عرقٌ يصلح أن يكون مثالاً بارزاً لتأثير العوامل التي تهيمن على قيام الدول وعظمتها وانحطاطها".[216]

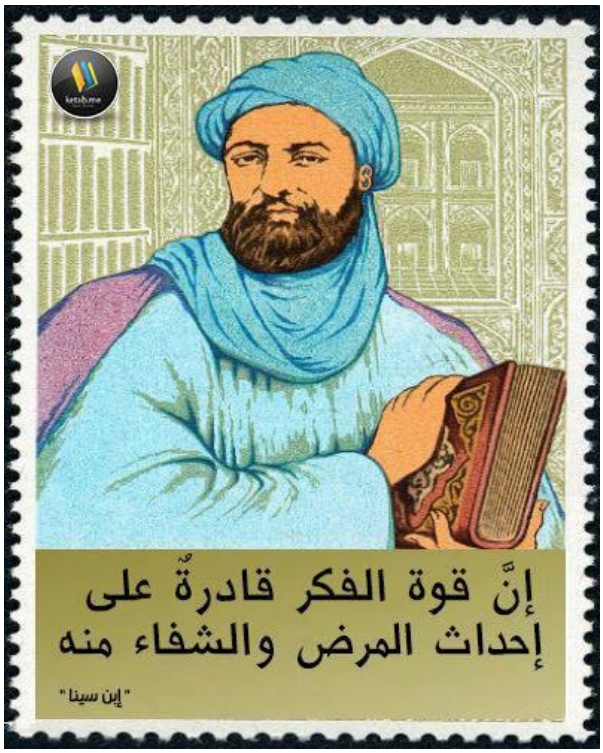

ابن سينا- من أعلام الطب[217]

---

[216] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (618).

[217] – المصدر: http://www.hekams.com/image/%D8%A7%D8%A8%D9%86-%D8%B3%D9%8A%D9%86%D8%A7_11156.jpg

رابعاً: كان لهم دورهم في نهضة العلوم

كان للعرب دور كبير في نهضة العلوم الإنسانية والبحتة، ومنها الطب، وقد كانت كتب علمائهم موسوعات تعتبر مظاناً للمعرفة، ومصدراً للعلم في أوروبة، تقول زيغريد هونكة: "قبل 600 عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم، لا تحتوي إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف كان لعربي كبير، وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة، بدليل أن ملك المسيحية الشهير لويس الحادي عشر، اضطر إلى دفع اثني عشر ماركاً من الفضة، ومائة تلر من الذهب الخالص لقاء استعارته هذا الكنز الغالي، رغبة منه في أن ينسخ له أطباؤه نسخة، يرجعون إليها إذا ما هدد مرض أو داء صحته وصحة عائلته".[218]

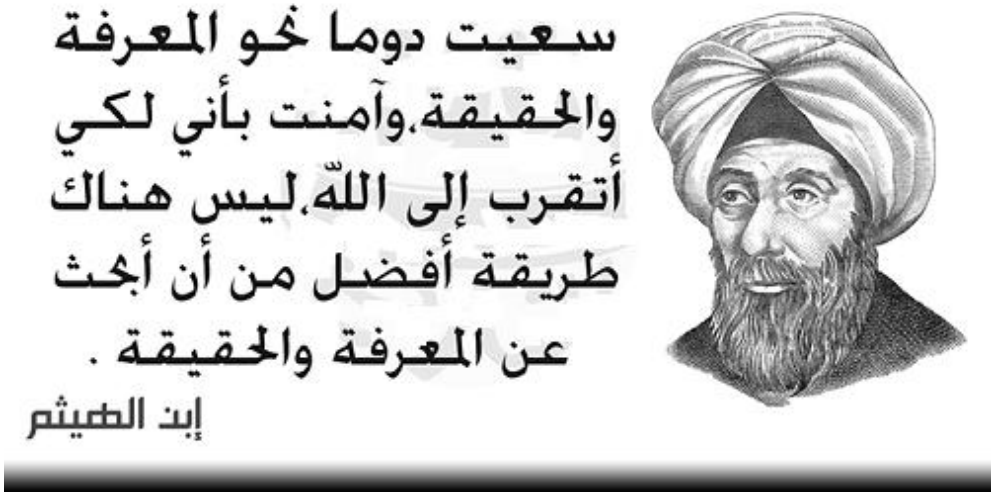

الحسن بن الهيثم- من أعلام العرب[219]

[218] – شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ص (243).

[219] – المصدر: http://www.hekams.com/image/%D8%A7%D8%A8%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%8A%D8%AB%D9%85-_9103.jpg

ولا غرابة أن يهتم العرب بالعلم، بعد أن حثهم النبي ﷺ على طلبه ولو في الصين، حيث قال: (اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم، إن الملائكةَ تضعُ أجنحتها لطالبِ العلمِ رضاً بما يطلب).[220]

بل لقد أدركت أمة العرب فضل العلم وأهميته منذ العصر الجاهلي، فقد قال السموءل:[221]

سلي إنْ جهلتِ الناسَ عنا وعنهمُ

فليس ســـواءً عالمٌ وجهـولُ

خامسا: العربي القدوة والأسطورة

كان للعربي مكانة سامية عند الناس الذين تعلموا منه، يقول غوستاف لوبون: "ومع أن الشعوب في البلدان المفتوحة ـ فيما عدا البربر والإسبان ـ كان لها حضارات ومدنيات متوارثة؛ فقد كان للسيد العربي في نظر أغلبهم ـ إذا استثنينا المتعلمين من الفرس المعتدين بأنفسهم ـ مكانة سامية، فلقد سحرهم العربي بأصالته وملامح وجهه ولطف حديثه. فشرفه وكرامته المتوارثة أجبراهم على

220 – رواه ابن عبد البر عن أنس، انظر: الجامع الصغير، (543/1)، الحديث (1111).

221 – جواهر الأدب، للهاشمي، (508/2).

اتخاذه مثلاً أعلى يحتذونه، بل ويتشوفون إلى مثل مكانته الاجتماعية، بمعنى أن يصبحوا عرباً مثله".[222]

سادساً: مجموعة مزايا أخرى ذكرها ابن المقفع

ونختم بكلام لابن المقفع في فضل العرب على من سواهم، وهو ينسجم مع ما سبق ذكره من مواقف بعض المستشرقين والباحثين المعاصرين، الذين ذهبوا إلى الإشادة بالعرب ودورهم التاريخي، وتفضيل الحضارة العربية على ما سواها من الحضارات الإنسانية، لنستنتج من خلال هذا كله أن الحقيقة الناصعة لا يختلف عليها الناس مهما تباعدت أزمنة والأمكنة والثقافات فيما بينهم:

"روى أبو العَيْناء الهاشميّ عن الفحْذَميّ عن شَبِيب بن شَيبة قال: كنّا وُقوفاً بالمِرْبد موضع بالبصرة، وكان المِرْبد مَأْلف الأشرَاف، إذْ أَقْبلِ ابن المقَفَّع فَبشَشْنا به وبَدَأناه بالسلام، فرَدَّ علينا السلامَ، ثم قال: لو مِلتم إلى دار نيْرُوز وظلها الظَّليل، وسُورها المديد، ونَسِيمها العَجيب، فَعَوَّدْتم أبدانَكم تَمْهِيد الأرْض، وأَرَحتُم دَوابَّكم من جَهْد الثِّقل، فإنّ الذي تَطْلُبونه لم تفلتوه، ومهما قضى الله لكم من شيء تَنالوه.

فَقَبِلْنا ومِلنا، فلما اسْتَقرّ بنا المكانُ، قال لنا: أيّ الأمم أَعْقَل؟.

---

[222] – شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ص (366) .

فنظرَ بعضُنا إلى بَعْض فقُلْنا: لعلَّه أَرَاد أصلَه من فارسِ، قُلنا: فارس. فقال: ليسوا بذلك، إنهم مَلكوا كثيراً من الأرض، ووجَدُوا عظيماَ من المِلْك، وغَلَبُوا على كَثِير من الخَلق، ولَبِثَ فيهم عَقْد الأمر، فما استَنْبَطوا شيئاً بعقولهم، ولا ابتدعوا باقي حِكَم في نفُوسهم.

قلنا: فالروم. قال: أصحابُ صَنعة.

قلنا: فالصِّين. قال: أصحابُ طُرْفة.

قلنا: الهند. قال: أصحابُ فَلسفة.

قُلنا: السُّودان. قال: شرُّ خَلْق الله.

قُلنا: التُّرْك. قال: كلاب مختلسة.

قُلنا: الخزَرُ. قال: بقر سائمة.

قلنا: فقُل. قال: العرَب. قال فَضَحِكنا.

قال: أما إنِّي ما أردت مُوافَقَتكم، ولكنْ إذا فاتَنى حظِّي من النِّسْبة فلا يَفُوتني حظِّي منِ المِعْرفة.

إنّ العرَب حَكمت على غير مِثال مُثَل لها، ولا آثارٍ أثِرَت، أصحاب إبل وغنَم، وسَّكان شَعَر وأَدَم، يَجودُ أحدُهم بقُوته، ويتَفضَّل بمَجْهوده، ويُشَارِك في مَيْسوره ومَعْسوره، ويَصِف الشيء بعَقْله فيكون قُدْوَة، ويَفْعَله فَيَصِير حُجّة، ويُحَسِّن ما شاءَ فَيَحْسُن، ويُقَبِّح ما شاء فَيَقْبُح، أَدَّبَتْهُمْ أنْفُسُهم، ورَفعتهم هِممهم، وأعْلتهم قُلوبُهم وأَلْسِنتهم، فلم يزل حِبَاء اللهّ فيهم، وحِبَاؤهم في أنْفُسُهم، حتى رَفع ـ أي الله ـ لهم الفَخر، وبلغ بهم أشرف الذكر، خَتم لهم بمُلكهم الدُنيا على الدَّهر، وافتتحِ دينَه وخلافته بهم إلى الحَشرْ، على الخَيْر فيهم ولهم، فقال سبحانه: (إنَّ الأرْض لله يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَاده والعَاقبَةُ للمُتَّقِين). فمن وَضَع حَقَّهم خَسِر، ومَنْ أنْكَر فضلَهم خصِم، ودَفع الحقِّ باللَسَان أَكْبَتُ للجَنان".[223]

تلك هي بعض مزايا العرب، وهي كافية لأن تجلب لهم الفخار إلى يوم الدين، ولأن تحفزهم على النهضة والانطلاق من جديد!.

223- من كتاب: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، للألوسي، (1/158-159).

المبحث الثامن والعشرون

فضائل العرب على العصر الحديث

يتجلى تأثير العرب وفضائلهم على العصر الحديث في أمور عدة، نذكر منها:

أولاً: تأثيرهم العظيم على أوروبة

وهو تأثير ملاحظ مشهود لا ينكره منصف، يقول: غوستاف لوبون: "إن أوروبة مدينة للعرب بحضارتها، والحق أن تأثير العرب في الغرب ليس أقل منه في الشرق".[224]

ثانياً: تأثر الجامعات الغربية بالفلسفة العربية وطريقة البحث العلمي

لقد كان تأثر الجامعات الغربية بالفلسفة العربية وطريقة البحث عند العرب مما أسهم في وجود التطور الذي تنعم به البشرية الآن، تقول زيغريد هونكة في هذا السياق: "وما إن عرفت جامعة باريس تعاليم ابن رشد، حتى تأثرت بالفلسفة العربية وطريقة البحث العلمي، فمهدت بذلك الطريق لازدهار الحضارة العربية، وأصبح بلاط فريدريك خاصة، بعدما ترجمه ميخائيل سكوت، مركزاً لإشعاع

---

[224] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (566).

الفلسفة العربية انعكست أضواؤه في كل جامعات أوروبة، كما انتشرت منه علوم الرياضيات والأرقام العربية في كل أنحاء الغرب بفضل مؤلفات ليوناردو البيزي صديق ميخائيل سكوت وضيف القيصر. وكانت أفكار بن رشد، بالنسبة إلى القيصر الشغوف بالعلم والبحث، كالغيث صادف أرضاً متعطشة، وكان وجود ميخائيل وتعمقه في العلوم العربية والإسبانية عاملاً كبيراً في زيادة اهتمام القيصر بالعلوم والأبحاث العربية، ووجد القيصر في ميخائيل رفيقاً عالماً يلجأ إليه بأسئلته".[225]

ثالثاً: استمرار تأثير العرب قائماً في العالم الحديث

وذلك يتم عبر لغتهم العربية والدين الإسلامي، وهو تأثير مشاهد ملحوظ يزداد يوماً بعد يوم، يقول: غوستاف لوبون: "ثقلتْ قرون على أعفار العرب، ودخلت حضارتهم في ذمة التاريخ منذ زمن طويل، ولا نقول، مع ذلك، إنهم ماتوا تماماً، فنرى الآن ديانتهم ولغتهم اللتين أدخلوهما إلى العالم أكثر انتشاراً مما كانتا عليه في أنضر أدوارهم، والعربية هي اللغة العامة من مراكش إلى الهند، ولا يزال الإسلام جاداً في تقدمه... والسهولة العجيبة التي ينتشر بها القرآن في العالم شاملة للنظر تماماً، فالمسلم أينما مرَّ ترك خلفه دينه، وبلغ عدد أشياع النبي ملايين كثيرةً في البلاد التي دخلها العرب بقصد التجارة لا فاتحين".[226]

---

[225] – شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ص (450).

[226] – حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص (616).

وكذلك يستمر تأثير العرب في العصر الحديث عبر ما أقاموه من نهضة صناعية وعمران حضاري، ومدن عالمية تستقطب اهتمام العالم، وتجتذب المهتمين بالنهضة والعمران والتجارة العالمية.

ينبع الصناعية بالسعودية[227]

[227] – المصدر: http://yanbutoday.com/archives/414966

دبي عروس المدائن العربية، وبرج خليفة بدبي هو الأعلى في هذا العالم[228]

((هذي دبيُّ عروسُ السادةِ النجبِ

شمسُ الوجودِ وبيتُ العلمِ والأدبِ

تكاد تنطحُ قرنَ الشمسِ شامخةً

فخرُ الوجودِ من عُجْمٍ ومن عَربِ))

[228] – المصدر: https://encrypted-tbn1.gstatic.com/images?q=tbn:ANd9GcQmiXQJffM3g6RxDpIgmLEvvTu8iZs9R3SGZZPMZkXUFTycPj-J

رابعاً: إن العرب مازالوا يمدون يد الخير في كل اتجاه

فهم يمولون مراكز البحوث حول العالم، ويساعدون الفقراء والمساكين، ويمدون يد المساعدة للمستضعفين، والدول العربية الخليجية سباقة في العطاء، مما لا يحتاج إلى ضرب أمثلة وإثبات، وتسهم بقية الدول العربية في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وتقدم المساعدات للمنكوبين على قدر طاقاتها، وحسبهم ما يسدونه لأهل فلسطين ونحوهم من المعذبين في الأرض...

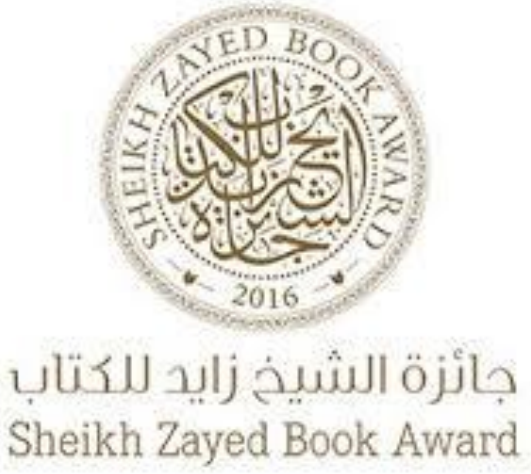

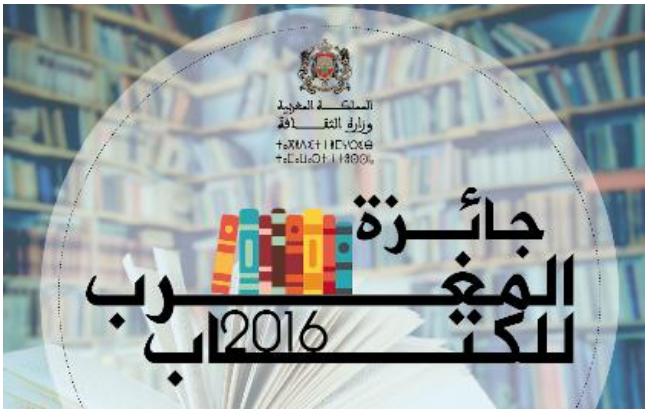

جوائز متميزة من السعودية[229] والإمارات[230] والمغرب[231] تقديرا للإبداع الثقافي

وعليه فالعرب هم بحق مِلح هذا العالم، ولولاهم لبطل نظام هذا الوجود، وما عادت للحياة أية نضارة، ولأصبحت قاطرة الحياة تسير بلا أمل ولا عواطف ولا أخلاق!، فسبحان من زيَّن بهم الوجود، وفضلهم برغم أنف أهل الحقد والجحود!.

العالم الإسلامي- رديف العالم العربي[232]

---

229 – المصدر: http://cdn1.akhbaar24.com/wp-content/uploads/2012/01/20120114_u15_25.jpg

230 – المصدر: http://www.zayedaward.ae/wp-content/uploads/2016/03/thumb-szba1-339x231.jpg

231 – المصدر: http://www.minculture.gov.ma/index.php/livre/soutien-et-promotion-du-livre/2013-06-24-14-57-57/3510--2016

232 –المصدر: http://www.islam101.com/images/Muslim_Distribution_map.jpg

المبحث التاسع والعشرون:

نقاط ضعف العـــرب

كما لكل الشعوب نقاط ضعف كثيرة، فكذلك للعرب نقاط ضعف، وهي في مجملها نقاط ضعف للناس جميعاً، ولكنها قد تكون بارزة عندهم بشكل أوضح من غيرهم، وهي تعود للحالة العاطفية والنفسية المرهفة التي تميز العربي عن غيره، ومن أهمها:

أولاً: سحر المرأة

حواء هي شريكة آدم ـ عليه السلام ـ حين كان في الجنة، وهي رفيقته وسكنه في الأرض أيضاً، والمرأة عموماً هي شريكة الرجل في صحراء الحياة، وهي لدى العرب تتربع ملكةً على عرش القلوب!، فهي ساحرة العربي ومالكة عقله وفؤاده وهواه!، وقاتلته وآسرته ومعذبته!، وواهبة شعور الحياة والموت فيه على حد سواء!.

وإذا أردنا أن نتأكد من هذا، فلنرجع إلى الشعر العربي... فهذا امرؤ القيس ملك الشعراء وشاعر الملوك!، يبدأ معلقته واقفاً مستوقفاً، وباكياً مستبكياً على أحبائه الراحلين، يقول: [233]

---

[233] – شرح القصائد العشر، للتبريزي، بتحقيق د. قباوة، ص (20).

قفـا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

بســقطِ اللوى بين الدخول فحوملِ

ويقول في معلقته مخاطباً محبوبته التي قتله حبها: [234]

أفاطـــمَ مهلاً بعضَ هذا التدللِ

وإنْ كنتِ قد أزمعتِ صُرمي فأجملي [235]

وإنْ تكُ قد ســـاءتكِ مني خليقةٌ

فَسُـــلّي ثيابي من ثيابكِ تنسُلِ [236]

أغرَّكِ مني أنَّ حبَّكِ قاتـــلي

وأنكِ مهما تأمري القلبَ يفعـــلِ

وما ذرفَتْ عيناكِ إلا لتقتلـــي

بسهميكِ في أعشـــارِ قلبٍ مُقتَّلِ [237]

---

234 – شرح القصائد العشر، ص (46-48).

235 – أزمعتِ: عزمت عليه. الصُرم: الهجر.

236 – ساءتك: آذتك. الخليقة والخُلق واحد. تنسل: تسقط. وقوله: (فسلي ثيابي من ثيابك) أي: خلصي قلبي من قلبك.

237 – قدح أعشار: إذا كان قطعاً، ومعشر: مكسر.أي:ما بكيت إلا لتجرحي قلباً معشرا.

وهذا وقال طرفة مبهور بجمال من أحبها حتى شبهها بالشمس، يقول: [238]

ووجهٌ كأنَّ الشمسَ حلَّتْ رداءها

عليهِ نقيُّ اللونِ لـــم يتخدَّدِ[239]

وإني لأُمضي الهمَّ عندَ احتضارِهِ

بعوجـاءَ مرْقالٍ تروحُ وتغتدي[240]

وهذا عنترة يخاطب ديار محبوبته ويتمنى لو تتكلم: [241]

يادارَ عبلةَ بالجِواءِ تكلمـــي

وعِمِي صباحاً دارَ عبلةَ واسلمي

238 – شرح القصائد العشر، ص (102).

239 – لم يتخدد: لم يضطرب، مشتق من الخَدِّ، لأنه إنما قيل له خد، لأنه يضطرب عند الأكل.

240 – العوجاء: الناقة الضامرة، التي قد لحق بطنها بظهرها، واعوجَّ شخصها.

241 – شرح القصائد العشر، ص (264).

مصدر الصورة: http://www.hawamer.com/vb/attachment.php?attachmentid=30455&stc=1&d=1290779865

وقال عمرو بن كلثوم يصف جسم محبوبته والهاً متغزلاً: [242]

تُريكَ إذا دخلتَ على خلاءٍ

وقد أمنتْ عيونَ الكاشحينا[243]

ذراعيْ عيطلٍ أدماءَ بِكرٍ

تربَّعتِ الأجارعَ والمتونا[244]

وثدياً مثلَ حُقِّ العاجِ رَخْصاً

حَصاناً من أكفِّ اللامسينا[245]

ومتنيْ لدنةٍ طالتْ ولانتْ

روادفُهـا تنوءُ بما يَلينا[246]

تذكرتُ الصِّبا واشتقتُ لما

رأيتُ حُمولها أُصُلاً حُدينا[247]

---

[242] – شرح القصائد العشر، ص (326-328).

[243] – الكاشح: العدو.

[244] – عيطل: طويلة. أدماء: بيضاء. تربعت: رعت نبت الربيع. الأجارع: جمع أجْرع وجرْعاء، وهو من الرمل ملا يبلغ أن يكون جبلاً، المتون: جمع متن، وهو ما غلظ من الأرض.

[245] – مثل حق العاج: في بياضه ونتوئه. الرخص: اللينة. الحصان: العفيفة.

[246] – المتن: جانب الصلب. اللدنة: اللينة. روادفها: أعجازها. تنوء: تنهض.

[247] – الحُمول: الأثقال، والإبل التي تحمل عليها الأثقال. الأصُل:جمع أصيل.

وفي الموضوع ذاته يقول الأعشى واصفاً جمال محبوبته ومشيتها وصوت حليها الناعمَ: [248]

ودعْ هـريرةَ إنَّ الركـــبَ مُرتحلُ

وهلْ تطيقُ وداعاً أيها الرجـــلُ

غراءُ فـرعاءُ مصقولٌ عوارضُهــا

تمشي الهوينى كما يمشي الوجِي الوجِلُ[249]

كأنَّ مشيتَها من بيتِ جارتِهـــا

مرَّ السحابةِ لا ريثٌ ولا عجَـــلُ

تسمعُ للحَلْيِ وسـواساً إذا انصرفتْ

كما اســـتعانَ بريحٍ عِشرِقٍ زَجِلُ[250]

---

[248] – شرح القصائد العشر، ص (418-419).

[249] – الغراء: البيضاء الواسعة الجبين. الفرعاء: الطويلة الفرع، أي الشعر. العوارض: الرباعيات والأنياب. تمشي الهوينى: على رسلها. الوجي: الذي يشتكي حافره، ولم يَحف، وهو مع ذلك وَحل، فهو أشد عليه.

[250] – الوسواس: جرس الحلي. العِشرِق: شجيرة مقدار ذراع، لها أكام، فيها حب صغار، إذا جفت، فمرت بها الريح، تحرك الحب، فشبه صوت الحلي بخشخشته على الحصى.

الأعشى كان صَنَّاجة العرب[251]

واستمر النسيب موضوعاً عاطفياً مثيراً حتى العصر الحديث، ومن أجمل ما قيل في العصور اللاحقة لصدر الإسلام قول الأرجاني:[252]

تمتعتما يانـاظـــريَّ بنظرةٍ

وأوردتما قلبي أشـــرَّ المواردِ

أعينيَّ كفا عن فؤادي فإنـــه

من البغي سعي اثنين في قتل واحدِ

---

[251] – المصدر: https://i.ytimg.com/vi/D7DUve4vFLE/maxresdefault.jpg

[252] – مختارات البارودي، (349/4).

ومن أشهر شعراء الغزل عبر التاريخ العربي: عمر بن أبي ربيعة، وجميل بثينة، وكثير عزة، والعباس بن الأحنف، ونزار قباني في العصر الحديث.

من شعر نزار قباني[253]

ولا شك أن للمرأة نعومة وندى، وسحراً وفتنة، وظلاً ونار، فهي مهاة وظبية، ولبؤة وأفعى، ووردة وشوكة في آن واحد، إذا اتصفت بالفضيلة كانت خير ما يكنز المرء، وإذا انحرفت عن الصراط ولو قليلاً كانت شراً من الأفاعي، وعذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة، ومن ثم شرع الله الطلاق حتى لا تنتهي الحياة الزوجية بالجرائم الأسرية، وقد حذر الرسول ﷺ من فتنة النساء، فقال: (ماتركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء).[254]

---

253 – المصدر: https://pbs.twimg.com/media/BMTGnHwCUAA2qKs.jpg

254 – متفق عليه عن أسامة بن زيد، انظر: مشكاة المصابيح، (928/2)، الحديث (3085).

والعربي ليس بدعاً في ولعه بالمرأة، فهذه هي الفطرة السوية، وليس فرداً في ضعفه أمامها، فكل الرجال قد يضعفون أمامها من شتى الأمم، ولكن ليس لكل الرجال رسالة كما للعربي الذي يحمل رسالة الدين والخير في هذه الحياة، فضعفه يثنيه عن حمل الرسالة، وهذا ما يريده المبطلون، وهو أن يصرفوه عن أداء رسالته، ليتلهى بالمرأة وحبها وعطرها وسحرها عن المعالي!. يقول مرماديوك باكتول: "إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها سابقاً، بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم".[255]

ومما قاله القس صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس (1935م) ما يأتي: "مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هدايةً لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية... إنكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع

---

[255]- قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، ص (70).

فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود كل شيء، إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه".[256]

الحجاب ستر وليس زينة وتبذل[257]

ثانياً: فتنة المال

المال هو الفتنة الثانية، هو فتنة للغني يظن أن ماله أخلده، وفتنة للفقير يظن أن ربه قد أهانه بالفقر، ولذلك قال الرسول ﷺ: (إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال).[258]

---

[256]- جذور البلاء، لعبد الله التل، ص (275-276).

[257] - المصدر: http://4.bp.blogspot.com/_9Q94WiATPko/SsP4Ph-M1aI/AAAAAAAAAQg/ouh4tCTWK_4/s320/7egab2.jpg

والمال هو سلم المجد منذ الجاهلية، فهذا امرؤ القيس يرى مجده في جمع المال الوفير، يقول:

259

فلو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ

كفاني ولم أطلب قليلٌ من المالِ

ولكنما أســـعى لمجدٍ مؤثلٍ

وقد يدركُ المجدَ المؤثلَ أمثالي

وقال عروة بن الورد يمتدح المال، ويذم الفقر، ويذكر آثارهما الاجتماعية على صعيد الفرد والأسرة والجماعة، مبيناً نفاق الناس للغني وازدراءهم للفقير:[260]

ذريني للغنى أسعى فإني

رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ

وأبعدهم وأهونهم عليهم

---

258 – رواه الترمذي عن كعب بن عياض، انظر: مشكاة المصابيح، (1434/3)، الحديث (5194).

259 – انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، (81/2).

260 – تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، (213/1)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، 1997م.

وإن أمسى له كـرم وخِير

ويُقصيهِ الندِيُّ و تزدريـه

حليلتُهُ وينهــره الصغيرُ

ويُلقى ذو الغنى و له جلالٌ

يكاد فؤادُ صــاحبه يطيرُ

قليــل عيبه والعيب جمٌّ

ولكــنْ للغنى ربٌّ غفورُ

واستمر عشق المال ديدن الناس بعد الإسلام، وذلك على الرغم من تهذيب الإسلام لغريزة جمع المال،وتحديده طرق الجمع المشروعة، والصرف المشروعة، يقول شاعر آخر:[261]

فصاحةُ حســانٍ وخطُّ ابنِ مُقْلةٍ

وحكمةُ لقمــانٍ وزُهدُابنِ أدهمِ

إذا اجتمعتْ في المرءِ والمرءُ مفلسٌ

ونُودي عليهِ لا يُباعُ بدرهــمِ

[261] – جواهر الأدب، للهاشمي: ص (724).

هكذا إذاً كل الفضائل والمواهب لا تساوي شيئاً عند فقد المال!.

والحقيقة أن عشق المال ديدن الناس جميعاً، وقد جاء الإسلام فهذب هذه الغريزة، وطلب أن يُجمع المال من السبل المشروعة، ويُنفق في السبل المشروعة، من غير تبذير ولا تقتير.

ولكن أعداء هذه الأمة يستغلون هذا الضعف الإنساني في صرف العربي عن رسالته، وشراء ذمته، وجعله عدواً لأمته، والعرب عموماً أمة من الشرفاء، بل هم أشرف البشر قاطبة، ولكن لا يخلو أن يوجد فيهم ضعاف النفوس الذين يركعون لبريق الذهب والفضة من دون الله تعالى!، مما مكن لمشاريع الأعداء أن تمر عبر هؤلاء الضعاف الخراف، والسبب في ذلك فتنة المال.

الذهب فتنة عبر التاريخ[262]

[262] – المصدر: http://syria-nass.com/wp-content/uploads/2014/12/344.jpg

كما أن المال أسهم بشكل عام في تقطيع أواصر القربى، والمحبة بين الناس، على صعيد الأفراد والأسر والمجتمعات العربية على حد سواء.

ثالثاً: سرعة الغضب

سرعة الغضب سمة العربي في كل حالاته، وهو سبب في وقوع كثير من الفتن والمشكلات بين الناس، وكثير ما يتبع الغضب عراك بالآيادي، قال الشاعر: [263]

سريع إلى ابن العم يلطم خده

وليس إلى داعي الندى بسريعِ

وقد كان الرسول ﷺ يعي خطورة الغضب، فحين استوصاه رجل من أصحابه، قال له: (لا تغضبْ). فردَّ ذلك مراراً قال: (لا تغضب).[264]

وقد عرضت وسائل الإعلام صورة لما جرى في أحد المؤتمرات العربية من مهاترات وملاسنات، وكان ذلك كله بسبب الغضب... فحري بمن ولاهم الله أمر هذه الأمة أن يرتفعوا فوق

---

[263] – البيت للأقيشر، واسمه المغيرة بن عبد الله، انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، (242/3).

[264] – رواه البخاري عن أبي هريرة، انظر: مشكاة المصابيح، (1413/3)، الحديث (5104).

حظوظ النفس، وأن يرتقوا لمستوى المسئوليات التاريخية الملقاة على عواتقهم، وإلى تطلعات شعوبهم، والمصالح المتبادلة، والأخطار المشتركة، والمستقبل الواحد للجميع.

رابعاً: اتباع الهوى

اتباع الهوى مرض فردي واجتماعي عند سائر الأمم والشعوب على حد سواء، ومن الناس من لا يعبد الأصنام، ولكن يعبد أهواءه وشهواته، كما هو شأن الملاحدة في كل زمان ومكان[265]، حيث لم يتعبوا أنفسهم بعبادة الأوثان، فعبدوا أهواءهم، قال تعالى: (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً). (سورة الفرقان: 43).

والمفاسد كلها تعود للشرك، والشرك بصوره كلها يعود سببه إلى عبادة الهوى، يقول الغزالي: " فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده، قال الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ). وقال ـ ﷺ ـ : (أبغض إلهٍ عُبد في الأرض عند الله تعالى هو: الهوى)[266]. وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم، وإنما يعبد هواه؛ إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى".[267]

---

265 – انظر: شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، ص (204).

266 – أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف.

267 – إحياء علوم الدين، علق عليه جمال محمود ومُحَمَّد سيد، (54/1).

والعرب في الجاهلية من أكثر الأمم أهواءً، وذلك بسبب فقدان الحكومة، والتعليم المشترك، وعدم وجود المدارس، ورغبة كل قبيلة في التفرد والسيادة، فهم الإخوة الأعداء كما وصفهم القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). (آل عمران: 103).

جاء الإسلام فوحدهم، فأصبحوا خير أمة... ولكن دبت إليهم فيما بعد بعض رواسب الجاهلية الأولى، وعاد التنازع والتناحر فيما بينهم، وهذا نجده واضحاً من الناحية الأدبية في شعر النقائض بين جرير والفرزدق والأخطل، ونجده على أرض الواقع في الأندلس التي افتقدوها بسبب الأهواء المتنازعة، والدول المتصارعة، وهو أمر يسبب ضياع الأمم والشعوب ... وقد بكى نزاعهم أبو البقاء الرندي حين قال:[268]

كم يستغيثُ بنا المستضعفون وهم

قتلى وأسرى فما يهتزُّ إنسـانُ

ماذا التقاطعُ في الإسـلامِ بينكمُ

وأنتمُ يا عبادَ اللهِ إخـــوانُ

[268] – جواهر الأدب، للهاشمي، ص (621).

ألا نفوسٌ لأبياتٌ لهـــا همٌ

أما على الخيرِ أنصارٌ وأعـوانُ

إن الاختلاف في الرأي الذي يكون بسبب التشاور، ثم يعقبه اتخاذ القرار الموحد الذي يصطف وراءه الجميع، لهو من قوة الأمم اليوم... وأما الاختلاف لمجرد الاختلاف، والذي يعقبه الشقاق والفرقة والتنازع، والحروب الداخلية، فهذا هو الاختلاف المذموم، وهو من عوامل هلاك الأمم وانجعافها مرة واحدة.

تلك هي بإيجاز بعض نقاط ضعف العرب، إنهم أمة مختارة، وفي كل أمة نقاط ضعف، فإذا تغلبت على نقاط ضعفها، تبدل ضعفها قوة، وذلها عزاً، وتحررت بلادها من الغزو والاحتلال، وصارت إلى حصن حصين، ومجد مكين!.

نسأل الله أن يحفظ العرب والمسلمين من شرور الفتن كلها ما ظهر منها وما بطن!.

◙ ◙ ◙

المبحث الثلاثون:

لماذا تعثرت النهضة العربية؟.

النهضة العربية هدف مطلوب تسعى إليه الأمة العربية بكافة شعوبها وأطيافها السياسية، وثمة معوقات حالت دون نهضة العرب نهضة شاملة... لقد حدثت نهضة نسبية في بعض المجتمعات العربية، وحصل تطور في بعض جوانب الحياة العربية... بيد أن مجمل ما حصل من تطور هو دون المستوى المطلوب للمرحلة التي تعيشها الأمة العربية، وهو أقل من التطور الذي حققته شعوب كثيرة سواء أكانت في شرق آسيا أو في أمريكا اللاتينية وبعض الدول الإفريقية.

ونوجز فيما يأتي أهم معوقات النهضة العربية:

أولاً: ضعف القيم الروحية

الشريعة هي سبب قوة العرب واجتماعهم، ويعضد هذا الكلام قول ابن خلدون في الفصل السابع والعشرين من مقدمته . وقد تقدم .: "إن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية، أو أثر عظيم من الدين على الجملة"[269].

فإذا انفضوا عنها تفرقوا وضاعوا، ولذلك وصاهم الله تعالى بالاعتصام بهذه الشريعة، التي وحدتهم وأنقذتهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). (آل عمران: 103).

والشريعة نظام شامل للحياة، في كافة جوانبها الروحية، والتعبدية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والرياضية... بيد أن الإسلام حُصر في المسجد دون الشارع، فعم الفساد والإفساد!.

ثانياً: النزاع والفرقة

[269] – مقدمة ابن خلدون، ص (153).

الشريعة بإطارها العام أصالة وتقدم، ونمو ورخاء، وجد واجتهاد، وجهاد وعمل، ووحدة وألفة، وعليه ينبغي أن تكون ملهمة العرب ومحركهم نحو الأفضل، وينبغي أن يكون النظام العام مستمداً من الشريعة بمعناها الإنساني الكوني الواسع، والشريعة الإسلامية من لدن رب العالمين هي التي تؤمن بالحرية والحوار والحقوق الإنسانية، وتقبل بوجود غير المسلمين كمواطنين يتساوون مع المسلمين في الحقوق والواجبات، وتدعو الشريعة إلى الاجتهاد، والأخذ بالأسباب، والتحديث والتطوير... فإذا نبذ الناس الشريعة ضلوا وتفرقوا وضاعوا، ومن هنا فقد نهى الله سبحانه عن النزاع الذي هو سبب الفشل، قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (الأنفال: 46).

ومن يتأمل الحالة العربية يجد النزاع في كل اتجاه، والفرقة قائمة على صعيد الأسرة والمجتمع، وكل حزب بما لديهم فرحون!.

كما يجد أيضاَ أن بعض من ينادون بالشريعة لم يفهموها وشوهوا جمالها بتأفعالهم الرعناء وتصرفاتهم الرعناء.

ثالثاً: فقدان التوازن بين الأصالة والمعاصرة

فرض العصر الحديث تطورات في مختلف أطر الحياة، والأخذ بها صار ضرورة قصوى لمن أراد أن يواكب الحياة ويتطلع للمستقبل، كما أن الحفاظ على الهوية والثوابت الأساسية في حياة الناس ضرورة قومية ووطنية، لأنه بدون الهوية تضيع المعالم الأساسية للأمم والشعوب، ويصبح الجميع شيئاً واحداً، وهذا ما يخيف الناس من طوفان العولمة الجارف.

وبالنسبة للعرب، كان موضوع التوازن بين التراث الماضي ومتطلبات الحاضر وتطلعات المستقبل هو النقطة الأساسية لبناء النهضة الحقيقية، بيد أنه ثمة إخفاق في هذا المجال، فإما تحديث على حساب القديم، أو تكلس وتقوقع في خيمة القديم على حساب المعاصرة، وقد أثمر هذا تخلفاً عن ركب الحضارة، يقول جاك برك في هذا الصدد: "إن مشكلة الشرق العربي تنصهر في مشكلة الإنسانية الحاضرة: الاحتفاظ بهويتها أو بالحري بهوياتها في حالة التهول الهائل وفي عملية التحويل الضخمة إلى وحدات متشابهة التي يؤدي إليها التقدم التقني. وانطلاقاً من عالم بطيء ومتعدد الألوان، ها نحن جميعاً، ننحرف نحو عالم يزداد سنة بعد سنة. تجدداً وتقريباً بين المستويات المختلفة، وإن التنوعات الغنية التي كان يحدثها الإنسان بين بلد وآخر، وبين منطقة وأخرى، تتحول إلى تنوع في الزمان، أي إلى تحول مفاجئ في الذات. وهذا الأمر يعني بالنسبة لكل وحدة أصيلة: فقدانها ما

يميزها عن الوحدات الأخرى، إذن فقدانها من وجوه عديدة ما هي عليه بالذات، وذلك مقابل حقها في أن تبقى، فهل من اللازم أن يدفع هذا الثمن الغالي في سبيل البقاء على قيد الوجود؟."[270]

رابعاً: التحديات الداخلية

تتمثل التحديات الداخلية في إخفاق التنمية على الصعد التعليمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية... فالأمية والجهل، والفقر والتخلف، والرشوة والفساد الاجتماعي، وضياع حقوق العمال والفلاحين، وظلم المرأة، والاستبداد والطغيان، والاحتلال الخارجي لبلاد عربية كثيرة خلف مشكلات خطيرة، كل هذا كان أحد أسباب تعثر النهضة العربية!.

صور المجاعة في جنوب السودان[271]

[270] – العرب من الأمس إلى الغد، ترجمة د. علي سعد، ص (413).

[271] – المصدر: https://m.almesryoon.com/images/thumbs/470/e09f456db0936bd8c33e9b13c0b6c253.jpg

خامساً: المؤامرات الخارجية

ثمة مؤامرات خارجية ظاهرة حيناً وخفية أحياناً أخر، فمن هذه المؤامرات احتلال أجزاء من الوطن العربي، وتقسيم بعض الدول كالسودان مثلاً، وإنهاك بعض الدول بالحروب الخارجية أو الفتن الداخلية، واللعب بمصادر المياه، وسرقة ثروات الوطن العربي، وتهجير المثقفين ورجال الأعمال، واحتلال فلسطين قلب العروبة النابض، ومحاربة الشعوب في لقمة عيشها، كما في كرامتها أيضاً... ومثل هذه المؤامرات صارت واضحة للعيان، والخفي منها كثير، وما هو آتٍ أعظم، وهذا السبب هو من أعظم أسباب تقهقر النهضة العربية في العصر الحديث.

ورغم هذه الأسباب المجتمعة، فإن العرب يتطلعون إلى السماء، ويرقبون الغد المشرق، ولن ييأسوا مهما قدموا من تضحيات، ولكن نتمنى أن يدرسوا أسباب تقهقر الحضارات وأسباب صعودها بشكل سليم، ويقرأوا ذلك من خلال قصص الوحي والتاريخ والواقع المعاصر، ليتخذوا منهجاً علمياً محدداً، يمشون فيه بخطى ثابتة نحو التقدم والريادة ليكونوا شركاء في صنع الحضارة المعاصرة، كما كانوا في الأمس القريب.

المبحث الحادي والثلاثون

ماذا ينتظر العالم من العرب؟

ينتظر العالم من العرب الشيء الكثير، فبعد الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدها العالم في القرون الأخيرة، وبعد حالة اليأس والفراغ الروحي والتخبط الفكري الذي تعاني منه البشرية، وبعد القلق والفزع والرعب الذي أحدثه التطور التكنولوجي الهائل على مستوى الخلية والأجنة إلى التطور الهائل في علوم الفضاء، مروراً بثورة الاتصالات والمعلوماتية... ليس أمام البشرية ـ بعد هذا كله ـ سوى البحث عن الحلول... وربما كان الحل بيد العرب، بل هو في أيديهم متمثلاً بهذا القرآن الكريم، الذي هو دستور الحضارة الإنسانية الراقية، والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، وعليه ينتظر العالم من العرب الآتي:

أولاً: المشاركة الفكرية

وذلك بأن يظهروا للعالم بدائع التراث العربي، وذخائر الفكر الإسلامي، وعبقرية اللغة والآداب العربية... وأن يقدموا له ما جادت به عبقريات كتابهم في العصر الأخير، فالعرب لهم بصمة فكرية مميزة، فهم يؤمنون بالفكر التحليلي والمنهج العلمي من جهة، ويستضيئون بوحي السماء من جهة أخرى، فتستنير عقولهم، وتصل للحقائق عبر الرؤى الغيبية والتجارب الواقعية، فهم ليسوا مجرد

عقلانيين لا يؤمنون بالغيب! ، ولا مجرد غيبيين لا يؤمنون بالواقع!، والمزج بين الغيب والواقع يعطيهم ميزة إبداعية، ويهبهم خصيصة التكامل بين عناصر هذا الوجود، ولعل ذلك يسهم في ميدان السعي من أجل إنقاذ سفينة البشرية التي تتقاذفها الأمواج من كل جهة!.

عباس محمود العقاد[272]

علي الطنطاوي[273]

---

[272] – المصدر:
http://www.albayan.co.uk/Uploads/img/thumb/813071433102246.jpg

[273] – المصدر: http://www.sayidaty.net/sites/default/files/imagecache/645xauto/30/06/2015/1435654019_3.jpg

الكواكبي من رموز دعاة الإصلاح في العصر الحديث[274]

ثانياً: المشاركة الروحية

ينبغي على العرب أن يقدموا ما لديهم من تراث روحي إلى البشرية كافة، لكي يسهموا في انتشال الناس من وحل المادية المعاصرة، ويخلصوا الإنسانية من الانزلاق في الطين الذي أبعدهم عن هدي السماء، وجعلهم عبيد أهواءٍ وشهواتٍ، ولذاتٍ حسية ومصالح مادية عاجلة!.

[274] – المصدر: http://drshahera2013.blogspot.ca/2013/10/blog-post_9583.html

الصلاة عماد الدين وغذاء الروح[275]

ثالثاً: المشاركة الاقتصادية

يجب على العرب أن يسهموا في إنقاذ العالم من نظم الجشع الرأسمالية، التي باتت أكثر تسلطاً على الناس بعد انسحاب الشيوعية، وتفردها في قيادة الأسواق العالمية... إن محاربة الفقر والاستغلال، وجريمة الربا من جهة، والبذل والسخاء والعمل الجاد، ورعاية الطبقات الكادحة من العمال والفلاحين من جهة أخرى، كل هذه أمور يجب أن يتولاها العرب من أجل مساعدة الناس على حياة اقتصادية سليمة، تنهي استغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

[275] – المصدر: http://www.islamtoday.net/media_bank/image/2016/7/1/1_201671_41700.jpg

مصفاة بترول رأس تنورة في السعودية[276]

رابعاً: المشاركة الاجتماعية

وتكون بتسويق الفكر الاجتماعي العربي، الذي يبين أن للمرأة دوراً في الحياة كما للرجل تماماً، وهذا الدور يتمثل أولاً في بناء الأسرة وتربية الأجيال، وعليه ينبغي أن لا يكون عمل المرأة على حساب الأمومة البائسة والطفولة الضائعة في هذه الأيام... وينبغي توكيد أواصر الأسرة والقربى، والجوار والعمل، وكافة العلاقات الاجتماعية والإنسانية ...

كما ينبغي رعاية الفقراء والأيتام والعجزة... والضرب بيد من حديد على العابثين بالأمن الاجتماعي والقيم الاجتماعية..

---

[276] – المصدر: http://www.almrsal.com/wp-content/uploads/2015/01/the-Refinery-in-ras-tanora-city.jpg

وينبغي أيضاً تسويق القيم العربية التي تحترم الصدق والشجاعة والوفاء، وتؤمن بالكرم والإيثار، لتكون هذه القيم بديلاً عن قيم الأنانية المادية التي لوثت الإنسان المعاصر باسم المصلحة العاجلة، فحطم أسمى القيم النبيلة في سبيل هواه الشخصي ومصلحته الزائلة...

خامساً: المشاركة السياسية

وتكون بتعريف الناس بنظام الشورى، وحقوق الوطن والمواطن، ودور الحاكم والمحكوم، وهي قيم عرفها العرب قبل أن تعرفها المدنية المعاصرة..

والعرب أمة ترفض الظلم والاستبداد، وتكره الغزو والاحتلال، وترى في العدل حياة للناس، وتؤمن بأن للدول أعماراً كما للأفراد، وأن المظالم سبب لاقتلاع الشوكة، والإبادة الجماعية، وأفول نجم الحضارة، وهي تحب للأمم جميعاً أن تنعم بشمس الحرية، وأن ترفل بثوب العزة والكرامة، فليس على الله أحد أغلى من هذا الإنسان الذي خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسكنه جنته، وأسجد له ملائكته، فتبارك الله أحسن الخالقين!.

هذا بإيجاز مبسط معظم ما تريده الأمم من العرب!، فهل يقود العرب سفينة النجاة العالمية؟!.

الخـــاتمة

بحمد الله تعالى تمكنا في هذا البحث الموسوم بـ: (سبائك الذهب في فضائل العرب) من ذكر نحو واحدٍ وثلاثين مبحثاً، تضمن جلها ذكر فضائل العرب، وقد شملت: نسبهم، ودينهم، وبلادهم، وتاريخهم، ولغتهم، وصفاتهم وخصائصهم الخَلْقِية والخُلُقية، وأحوالهم، وغير ذلك...

وننبه هنا على الأمور الآتية:

أولاً – العرب شعب من الشعوب السامية، وهم ـ كما تبين من خلال البحث وشهادات المؤرخين والمستشرقين ـ أشرفُ الأمم نسباً ودِيناً وتاريخاً ولغة وثقافة.

ثانياً – ذكرنا نحو ثمانٍ وعشرين فضيلة لهم، وهذا لا يعني قصر الفضائل على ما سبق، فمن أين لنا حصر فضائلهم كلها وهي عدد النجوم؟! فما هم إلا كما قال أبو فراس الحمداني:[277]

ومكارمي عددُ النجومِ ومنزلي

مأوى الكرامِ ومنزل الأضيافِ

[277] – جواهر الأدب، للهاشمي، (522/2).

ثالثاً – وجلُّ هذه الصفات الإيجابية مذكورة في الكتب، بعضها مجتمعة، وبعضها متفرقة... فجمعنا أشتاتها في قالب واحد مختصر، وأضفنا ما يمكن إضافته، وكل ذلك في اختصار شديد، فقد كان هدفنا أن نعطي إضاءات ليستفيد منها الناشئون في معرفة أمتهم وعظمتها.

رابعاً – هنالك مزايا خُص بها العرب دون غيرهم، مثل بعثة النبي مُحَمَّد ﷺ بينهم وهو فرد منهم، وكتابه بلغتهم، وأول ما سطع نور دعوته في بلادهم، ويضاف إلى ذلك وجود الكعبة في أرضهم ... وهذه مناقب لا يشركهم فيها أحد!. كما أن الأنبياء والمرسلين المذكورين في القرآن الكريم كلهم من المنطقة العربية وما حولها من بلاد الشام والعراق ومصر، وهذه منقبة لهم أيضاً.

خامساً – لا ننكر أن بعض الصفات الإيجابية للعرب، هي موجودة عند بقية الشعوب، ولكن وجودها عندالعرب يكون بشكل أتم وأكمل، فمثلاً: الكرم العربي لا مثيل له على وجه الأرض، ولكن لا نعدم أن نجد كرماء في باقي الأمم والشعوب. كما لا ننكر أيضاً أن هنالك بعض الصفات الإيجابية، قد تكون موجودة عند غير العرب بصورة أكمل مما هي عليه عند العرب!، فقد خص الله كل أمة بشيء لم يخصه غيرها، فالروم مثلاً خُصوا بالتكافل الاجتماعي، وإحكام القرار السياسي، وسيادة العدالة والقانون، كما خص الفرس بحبهم للحقيقة وسعيهم لها[278]، ونحن نعترف بفضائل

[278] – انظر: كتاب في ظلال السنة، ص (79–93)، دار اقرأ دمشق، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2003م.

الأمم والشعوب الإنسانية جميعاً، وهم إخوتنا في الإنسانية، وشركاؤنا في المدنية والحضارة[279]، ولكن نقر في الوقت ذاته أن الله فضل بعض الأمم على بعض في بعض الأمور لحكمة يراها سبحانه، ولكن الجميع في النهاية سواسية في الحقوق والواجبات، والثواب والعقاب عند بارئهم عز وجل، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ). (سورة الحجرات: 13).

سادساً – لا ينبغي أن نتكل على المجد الماضي فقط، فنتواكل ونكسل، وإنما ينبغي أن يكون الماضي حافزاً للمستقبل، وليكن شعارنا القول المنسوب للمتوكل الليثي:[280]

لسنا وإن كرمتْ أوائلُنا يوماً على الأحساب نتكلُ

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

[279] – وردت أحاديث نبوية في فضائل بعض الأمم والشعوب، انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، (224/9)، الفصل الرابع في فضل العجم والروم.

[280] – معجم الشعراء، للمرزباني، تصحيح الدكتور ف. كرنكو، ص (410)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ/ 1982م.

جامعة القاهرة، من صروح العلم بمصر [281]

سابعاً – المسلمون جميعاً يشاطرون العرب في كثير من الصفات، وهذا من فضل الله على من أسلم من غير العرب، فال الشاعر: [282]

إنْ لم تكونوا مثلهم فتشبهوا إن التشـبُّهَ بالكرامِ فلاحُ

[281] – المصدر: https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/thumb/5/57/CairoUniv.jpg/280px-CairoUniv.jpg

[282] – البيت من قصيدة ليحيى السهروردي، انظر: معجم الأدباء، (319/19).

ثامناً – قد يكون في العرب غير مسلمين، وهذا لا يضير، وإنما يعبر عن التسامح لدى هذه الشعوب العربية التي تقبل التعايش مع كافة الأديان بلا ظلم ولا عدوان، والتسامح من ثقافة هذه الشعوب ومن مبادئ هذا الدين، الذي يقول رسوله الكريم ﷺ: (من آذى ذمياً فأنا خَصمه، ومن كنتُ خصمَهُ خصَمْتُهُ يومَ القيامة).[283] ... وهؤلاء لهم نفس الصفات العربية النفسية والتاريخية، فجلهم عرب أقحاح، وهم يحترمون الإسلام ويجلونه أيضاً، فالإسلام لديهم مظلة حضارية وثقافة تاريخية، وبهذا يكون العرب أمة متسامحة متعايشة عرفت روح الديمقراطية قبل غيرها من الأمم والشعوب!.

تاسعاً – المرأة العربية كان لها مقام كبير قبل الإسلام، وجاء الإسلام فعزز مكانها وحرمتها، فلا يزاودنَّ أحد على موقف الإسلام من المرأة!.

عاشراً – آن للعرب أن يهبوا من غفلتهم، فيصلحوا بيتهم أولاً، ثم يتهيؤوا ليصلحوا العالم من بعده، فقد بلغ السيلُ الزبى، والمصباح في أيديهم، فليستيقظوا من نومة أهل الكهف، لينقذوا هذا العالم

[283] – رواه الخطابي عن ابن مسعود، وفي سنده كلام، انظر:الجامع الصغير، (19/6)، الحديث (8270).

الذي أتعبته الجاهلية بكل صورها وألوانها، وليس آخرها طوفان العولمة، ونختم بقول الشاعر الطغرائي:[284]

قد رشحـُّوكَ لأمرٍ لو فطنتَ لهُ

فاربأ بنفسكَ أن ترعى مع الهملِ[285]

وإنها لمسئولية تعيا عنها دهاة الإنس والجن!.

ولله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ

[284] – مختارات البارودي، (89/1).

[285] – اربأ: ترفَّع. الهَمَل: الإبل الضالة التي لا راعي لها، واحدها هامل.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

1. إحياء علوم الدين، للغزالي، علق عليه جمال محمود، ومُحَمَّد سيد، دار الفجر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 1999م.
2. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، تحقيق علي معوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ/ 2003م.
3. الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، 1989م.
4. أوضح المسالك، لابن هشام، بتحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة، 1394هـ/ 1974م.
5. الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، شرح د. مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الخامسة، بيروت، 1403هـ/ 1983م.
6. البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق د. أحمد أبو ملحم مع آخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الخامسة، 1409هـ/ 1989م.
7. البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة التاسعة

8. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.

9. البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الرابعة، 1395هـ/ 1975م.

10. تاريخ آداب العرب، للرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1394هـ/ 1974م.

11. تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، 1997م.

12. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1406هـ/ 1986م.

13. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، بيروت، 1420هـ / 2000م.

14. الجامع الصغير، للسيوطي، دار الفكر.

15. جامع الدروس العربية، للغلاييني، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة (33).

16. جذور البلاء، عبد الله التل، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1398هـ/ 1978م.

17. جواهر الأدب، للهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثلاثون.

18. حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مكتبة الأسرة 2000، بإشراف د. سمير سرحان، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

19. الخلافة بعد الرسول ـ ﷺ ـ شورى أم وصاية، دراسة قرآنية موضوعية.

20. دراسات في الإعجاز الخالد، دار اقرأ، دمشق.

21. دراسات في فقه اللغة، للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة

22. ديوان أبي فراس الحمداني، شرحه د. علي بو ملحم، دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 1995م.

23. ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت.

24. ديوان نشيدنا، دار السلام، القاهرة، الطبعة الرابعة.

25. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، للسهيلي، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الفكر، 1409هـ/ 1989م.

26. سيدنا مُحَمَّد رسول الله، شمائله الحميدة وخصاله المجيدة، عبد الله سراج الدين، مطابع الأصيل، حلب، الطبعة الرابعة 1405هـ /1985م

27. السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الفكر، 1409هـ/ 1989م.

28. شرح ديوان حافظ إبراهيم، تعليق د. يحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت.

29. شرح ديوان حسان بن ثابت، لجمانة يحي الكعكي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م.

30. شرح العقيدة الطحاوية، بتخريج الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثامنة، 1404هـ/1984م.

31. شرح القصائد العشر، للتبريزي، تحقيق د. قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1400هـ/ 1980م.

32. الشعر والشعراء، لابن قتيبة، راجعه مُحَمَّد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الرابعة، 1412هـ/ 1991م.

33. شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، 1400هـ/ 1980م..

34. علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1404هـ/ 1984م.

35. العرب من الأمس إلى الغد، ترجمة د. علي سعد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1402هـ/ 1982م.

36. العمدة في صناعة الشعر ونقده، للقيرواني، تحقيق د. مفيد مُحَمَّد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ/ 1983م.

37. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار الفكر.

38. في ظلال السنة، دار اقرأ دمشق، الطبعة الأولى، 1423هـ/ 2003م.

39. في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة التاسعة، 1400هـ/ 1980م.

40. كتاب الصناعتين، تحقيق د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1401هـ/ 1981م.

41. الكشاف، للزمخشري، تصحيح مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1406هـ/ 1986م.

42. مختارات البارودي، مشروع المكتبة الجامعة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1404هـ/1984م.

43. مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة، 1402هـ/ 1981م.

44. مختصر تفسير البغوي، للدكتور عبد الله الزيد، دار السلام، الرياض.

45. مدخل إلى دراسة الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، للدكتور زغلول النجار، نشر جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، 1430هـ/ 2009م.

46. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري، المكتبة الإمدادية، ملتان، باكستان.

47. المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي، دار مكتبة الحياة، بيروت، طبعة جديدة، 2002-2003م.

48. مشكاة المصابيح للتبريزي، بتحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1405هـ/ 1985م.

49. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، تحقيق مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.

50. معجم الأدباء، لياقوت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

51. معجم الشعراء، للمرزباني، تصحيح الدكتور ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1402هـ/ 1982م.

52. المعجم الوسيط، للزيات وزملائه، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر.

53. مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، 1424هـ/2004م.

54. الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، الدكتور محمود مُحَمَّد الطناحي ، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة الأولى، 1406هـ/ 1985م.

55. النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1424هـ/ 2003م.

56. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق د. مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

57. الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم وعلي مُحَمَّد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

ثانياً: المصادر الإلكترونية:

http://slamoon.com/vb/t10876.html

http://www.historicalkan.co.nr/

http://www.algarne.com/publish/printer_219.shtml

http://www.alm3refh.com/vb/t26117.html

http://www.almeshkat.com/index.php?pg=qa&cat=22&ref=1215

http://www.islamweb.net/ver2/Fatwa/ShowFatwa.php?lang=A&Id=47559&Option=FatwaId

http://www.islamweb.net/ver2/Fatwa/ShowFatwa.php?lang=A&Id=25876&Option=FatwaId

http://alfetn.com/vb3/showthread.php?t=20280

http://forum.islamacademy.net/showthread.php?t=41621

http://forum.art-en.com/viewtopic.php?style=9&t=9000

http://library.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?hflag=1&bk_no=1169&pid=868033

http://www.ibnamin.com/arab_superiority.htm

ملاحظة: بالنسبة لمصادر الصور، فقد اكتفينا بذكر الروابط أسفل الصور في الحواشي.

الملاحق

إتماماً للفائدة، ذكرنا مجموعة ملاحق تتضمن بعض المقالات المختارة في فضائل العرب ولغتهم، مما تتواءم مع فكرة هذا البحث، اقتبسناها من الشبكة العنكبوية التي هي متاحة للجميع، وقد عزوناها إلى كتابها ومصادرها، ولم نعدل فيها شيئاً يذكر إلاّ خطأً مطبعياً أو إملائياً أو نحوياً إن وجد، نسأل الله لكتابها الأجر والثواب، وأن يكون فيها الفائدة للقراء الأعزاء.

الملحق الأول: حول فضل العرب.

سؤال وهو: هل ثبت في فضائل العرب شيء ؟

وإذا كان ثبت فيه شيء كيف الجمع بينه وبين قوله عليه الصلاة والسلام : لا فضل لِعربي على عجمي .. ؟ وجُزيت الجنة.

الجواب : من الشيخ عبدالرحمن السحيم

وإياك

وبارك الله فيك .

لا أعلم أنه يثبت حديث في تَفْضيل العرب على وجه الخصوص ، والذي ثبت هو العموم ، كقوله عليه الصلاة والسلام : (إن الله اصطفى كِنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم) . رواه مسلم .

وكَقَولِه ﷺ : (الناس تَبَعٌ لِقريش في هذا الشأن ؛ مُسلمهم تَبَعٌ لمسلمهم ، وكافرهم تبع لكافرهم ، والناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) . رواه البخاري ومسلم .

وفي رواية لمسلم : (الناس تَبَعٌ لقريش في الخير والشر) .

قال الشيخ مَرعي الحنبلي في كتاب " مسبوك الذهب في فضل العرب " : وبالجملة فالذي عليه أهل السنة والجماعة اعتِقاد أن جنس العرب أفضل مِن جنس العجم ... وأن قريشا أفضل العرب ، وأن بني هاشم أفضل قريش ، وأن رسول الله ﷺ أفضل بني هاشم ؛ فهو أفضل الخلق أجمعين ، وأشْرفهم نَسَبا وحَسَبا ، وعلى ذلك دَرَج السلف والْخَلَف .

ثم نَقَل عن أبي مُحَمَّد حرب بن إسماعيل الكرماني – صاحِب الإمام أحمد – في وصْفِه للسُّنَّة التي قال فيها : هذا مذهب أئمة العِلم ، وأصحاب الأثر ، وأهل السنة المعروفين بها، الْمُقْتَدَى بهم فيها .

قال : وقد أدركتُ من أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها . اهـ

ثم أوْرَد أحاديث في فضل العرب ، ونَقَل عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله : وقد رُوِيَتْ في ذلك أحاديث ، النُّكْرَة ظاهِرة عليها . اهـ

وبيّن الشيخ مَرعي الحنبلي رحمه الله بعد ذلك مقصود التفضيل ، فقال : إذا عَلِمْتَ هذا ، فاعْلَم أن الذي يُرْجَع إليه ويُعوَّل في الفَضْل عليه هو الشَّرَف الكَسْبِي الذي مِنه العِلم والتقوى ، وهو الفضل الحقيقي ، لا مُجرّد الشَّرَف الذاتي الذي هو شَرَف النَّسَب ...

فَمِن الغُرور الواضِح ، والْحُمْق الفاضِح أن يَفْتَخِر أحُدٌ مِن العرب على أحد من العجم بِمُجرّد نَسَبِه ، أو حَسَبِه ، ومَن فَعَل ذلك فإنه مُخطئ جاهِل مغرور ! فَرُبّ حَبَشِيّ أفضل عند الله من أُلُوف مِن قُريش . قال الله تعالى في مثل ذلك (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .

وقال تعالى (وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) ، (وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) .

ثم بيَّن الشيخ أن مَن اتَّقَى الله تعالى مِن العَرَب فقد حازَ فضيلة التقوى ، وفضيلة النَّسَب، ومَن لم يَتّقِ الله فهو إلى البهائم أقْرَب !

قال : فالفضل الحقيق هو اتِّبَاع ما بَعَث الله تعالى به مُحَمَّداً من الإيمان والعِلم باطناً وظاهراً ، لا أنه بِمُجرّد كَون الشخص عربياً أو أعجمياً ، أو أسود أو أبيض ، أو بدوياً أو قروياً .

وقال الشيخ أيضاً :

واعْلَم أن العَرَب الذي هم سُكّان القُرى والأمصار أفضل من الأعراب الذين هم سُكّان البادية ، فإن الله سبحانه وتعالى جَعَل سُكْنَى القُرى يَقتضي مِن كمال الإنسان في العِلم والدِّين ، ورِقّة القلوب ما لا يقتضيه سُكنى البادية ، كما أن البادية تُوجِب مِن صلابة البَدَن والخُلُق ومتَانة الكلام ما لا يَكون في القرى ؛ هذا هو الأصل .

وقد تكون البادية أحيانا أنْفَع من القُرى ، ولذلك جَعَل الله الرُّسُل مِن أهل القُرى .

فَجِنْس الحاضِرة أفضل مِن جنس البادية ، وأما باعتِبار الأفراد فقد يُوجَد مِن أهل البادية ما هو أفضل من ألوف مِن أهل الحاضِرة . اهـ

وبهذا يَتبيّن أن مَن قال مِن أهل العلم بتفضِيل العَرَب إنما هو بِضميمة أخرى ، وهي التقوى ، أما مُجرّد النَّسَب فلا يَفضُل به أحد .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا : (ومَن بَطّأ بِه عَمَلُه لَم يُسْرِع بِه نَسَبُه) .

وأما حديث : (لا فَضْل لِعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر ؛ إلا بالتقوى). فهذا يَتّفق مع معنى آية الحجرات (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .

فإن التفاضل إنما هو بالتقوى ، فإذا فُقِدَتِ التقوى فُقِد أصل التفاضل ، وإذا وُجِدت التقوى وُجِد أصل التفاضل ، وقد يُوجَد معه ضَميمة أخرى أو مُرجِّح يَزيد به ذلك التفاضل .

كما لو قُلنا : إن المؤمنين يتساوون في أصل الإيمان ، ويتفاضلون بما عندهم من أعمال.

وقد يَكون تفضيل جنس العرب لِكون العربية هي لُغة القرآن والسنة ، فيَكون التفضيل بِموجِب الْفَهم عن الله ورسوله ﷺ ، فَعَاد التفضيل إلى معنى (خِيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) .

ولا شك أن العِلم شَرَف ورِفعة وفَخْر ، فيشْرُف العربي بمَزيد فهم الكِتاب والسنة .

وقد يَشْرُف الأعجمي بذلك ، بل ربما شَرف المولى .

وعلماء مُصْطَلح الحديث يَعقِدون فصلاً بعنوان : مَعرفة الْمَوالِي .

وذَكَر الزهري أن هشام بن عبد الملك قال له : مَن يَسُود أهل مكة ؟ فقلت : عطاء .

قال : فأهْل اليمن ؟ قلت : طاوس .

قال : فأهْل الشام ؟ قلت : مَكحول .

قال : فأهْل مِصر ؟ فقلت : يزيد بن أبي حبيب .

قال : فأهْل الجزيرة ؟ فقلت : ميمون بن مهران .

قال : فأهْل خراسان ؟ قلت : الضحاك بن مزاحم .

قال : فأهْل البصرة : فقلت : الحسن بن أبي الحسن . (الحسن البصري)

قال : فأهْل الكوفة ؟ فقلت : إبراهيم النخعي . وذَكَر أنه يقول له عند كل واحد : أمِن العَرب أم مِن الموالي ؟ فيَقول : من الموالي إلا النخعي ، فإنه مِن العرب ، فقال له : ويلك يا زهري ! فَرّجَتْ عَني – يعني لِذِكْرِه عَرَبياً .

ثم قال : والله لتسُودن الموالي على العرب حتى يُخْطَب لها على المنابر ! والعرب تحتها. فقلت : يا أمير المؤمنين إنما هو أمْر الله ودِينه ، فَمن حَفِظَه سَادَ ، ومَن ضَيَّعَه سَقَط .

والله تعالى أعلم .[286]

[286] – انظر موقع المشكاة على الرابط الآتي:
http://www.almeshkat.com/index.php?pg=qa&cat=22&ref=1215

الملحق الثاني: فتوى حول بعض أحاديث الفضائل المتعلقة بالعرب والنهي عن بغضهم

مركز الفتوى

رقم الفتوى: 47559

عنوان الفتوى: الأحاديث الواردة في فضل العرب والنهي عن بغضهم

تاريخ الفتوى: الثلاثاء 29 صفر 1425 / 20-4-2004

السؤال: هل يوجد حديث لرسول ﷺ بهذا المعنى أو مقارب له (من سب العرب فأولئك هم المشركون).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد :

فقد ألف ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى رسالة سماها (مبلغ الأرب في فخر العرب) وذكر فيها الأحاديث الواردة في فضل العرب والنهي عن بغضهم، مما قد يكون قريباً مما ذكرت ، وإليك بعض هذه الأحاديث :

روى الحاكم والبيهقي عن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما – قال :قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وصحبه وسلم: (لما خلق الله الخلق اختار العرب، ثم اختار من العرب قريشاً، ثم اختار من قريش بني هاشم، ثم اختارني من بني هاشم، فأنا خيرة من خيرة) . سكت عنه الذهبي

وأخرج الحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الكبير والأوسط عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : (وخلق الخلق فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم).

قال الهيثمي :وفيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به، وبقية رجاله وثقوا.

وقال الهيتمي في مبلغ الأرب :حديث سنده لا بأس به، وإن تكلم الجمهور في غير واحد من رواته.

وأخرج الطبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن الله حين خلق الخلق بعث جبريل، فقسم الناس قسمين، فقسم العرب قسماً، وقسم العجم قسماً، وكانت خيرة الله في العرب، ثم قسم العرب قسمين، فقسم اليمن قسماً، وقسم مضر قسماً، وقسم قريشا قسماً، وكانت خيرة الله في قريش، ثم أخرجني من خير ما أنا منه) . قال الهيتمي في مبلغ الأرب : سنده حسن

وروى مسلم وغيره عن واثلة بن الأسقع يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول :(إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم).

وأخرج الترمذي والحاكم وغيرهما عن سلمان قال قال لي رسول الله ﷺ : (يا سلمان؛ لا تبغضني فتفارق دينك. قلت: يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله! قال: تبغض العرب فتبغضني). قال :هذا حديث حسن غريب وقال الحاكم :هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص :قابوس بن أبي ظبيان تكلم فيه.

وأخرج الحاكم والطبراني عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حب قريش إيمان وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان وبغضهم كفر، فمن أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض العرب فقد أبغضني).

والله أعلم.[287]

287 - انظر موقع إسلام ويب على الرابط الآتي:
http://www.islamweb.net/ver2/Fatwa/ShowFatwa.php?lang=A&Id=47559&Option=FatwaId

الملحق الثالث: فتوى حول اللغة العربية

رقم الفتوى: 25876

عنوان الفتوى: يكفي اللغة العربية شرفاً أن الله أنزل بها كتابه

تاريخ الفتوى: الثلاثاء 7 شوال 1423 / 12-12-2002

أريد آية تتحدث عن مكانة اللغة العربية؟.

الفتوى: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فلم نقف على آية صريحة أو حديث صحيح يبين مكانة اللغة العربية .

ولكن وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى ذكرت فيها اللغة العربية أو اللسان العربي .

فمن ذلك على سبيل المثال، قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). (يوسف:2).

(بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ). (الشعراء:195).

(قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ). (الزمر:28).

إلى غير ذلك من الآيات.

وقد ورد حديث ضعيف في فضل اللسان العربي : (أحب العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي).

قال شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم :قال الحافظ السلفي :هذا حديث حسن، فما أدري أراد حسن إسناده على طريقة المحدثين، أو أراد حسن متنه على الاصطلاح العام .....وابن الجوزي ذكر هذا الحديث في الموضوعات، وقال الثعلبي :لا أصل له ...

وعلى هذا؛ فإننا لم نقف على نص صريح صحيح يبين مكانة اللغة العربية، ولا شك أنها من أرقى اللغات الإنسانية؛ بل هي أرقاها وأوسعها على الإطلاق. ويكفيها شرفاً ومكانه أن الله تعالى أنزل بها كتابه.

والله أعلم .[288]

288 – انظر موقع الإسلام ويب على الرابط الآتي:

http://www.islamweb.net/ver2/Fatwa/ShowFatwa.php?lang=A&Id=25876&Option=FatwaId

الملحق الرابع: مقال علمي

مقال حول فضل جنس العرب هِبَة ربانية للدكتور عائض الردادي

في يوم 1428/2/29هـ كتبت هنا عن «حماية اللغة العربية» وأنها واجبة في ضوء ما كتبه من توغلت الهزيمة إلى نفوسهم بالطعن في شرف اللغة العربية وفضلها، وأن كتاباتهم، امتدت للطعن أيضاً في فضل جنس العرب، واكتفيت بإيراد الآية الكريمة «الله أعلم حيث يجعل رسالته» (الأنعام/124).

وقد أشار كثير من الفضلاء الذين ذبّوا عن حمى اللغة العربية إلى أن العلماء قد ألّفوا في ذلك كتباً متخصصة، وأشير إلى أن ذلك حصل أيضاً في فضل العرب منذ القدم ككتاب ابن قتيبة(ت276هـ) «فضل العرب والتنبيه على علومها» وكتاب الحافظ العراقي (806هـ)، «محجة القرب في فضل العرب.. »

وهناك من ألف في الشعوبية (بغض العرب) وهو كثير لا يتسع له المقام، ومن أراد الأدلة الشرعية فعليه الرجوع للكتب المؤلفة في فضل العرب وفي الرد على الشعوبيين. وسأكتفي بإيراد موجز لما كتبه الشيخ ناصرالدين الألباني بعد تخريجه لبعض الأحاديث في فضل

العرب وأنها مكذوبة، وقد أشار إلى الأحاديث الصحيحة في الموضوع، وإلى تحقيق ابن تيمية للمسألة فيَ «اقتضاء الصراط المستقيم 1/419-461» يقول الألباني «بيد أن ذلك لا ينافي أن يكون جنس العرب أفضل من جنس سائر الأمم، بل حسب العرب فضلاً اختيار الرسول منهم، واختيار لغتهم لكتاب الله. هذا هو الذي أؤمن به، وأعتقده، وأدين الله به، وإن كنت ألبانياً، فإني مسلم، ولله الحمد، ذلك لأن ما ذكرته من أفضلية جنس العرب هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، ويدل عليه مجموعة من الأحاديث الواردة في هذا الباب..» الأحاديث الضعيفة/ 163.

على أن الشيخ الألباني عندما قرّر الحقيقة نبه تنبيهاً مهماً، حيث قال: ((ولكن هذا ينبغي ألا يحمل العربي على الافتخار بجنسه، لأنه من أمور الجاهلية التي أبطلها نبينا مُحَمَّد العربي ﷺ..

كما ينبغي ألا نجهل السبب الذي به استحق العرب الأفضلية، وهو ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، الأمر الذي أهَّلهم لأن يكونوا حملة الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأخرى)).

وإذا كان هذا التفضيل لجنس العرب وليس لأفرادهم هو الحق، فقد يقال: إن تقرير ذلك يعارض قول الله تعالى «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» الحجرات/13 وقول النبي الكريم «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» وأقول إن هذا في التفاضل بين الأفراد وليس بين الأمم والأجناس.

وقد قرأت في بحث للدكتور الفاضل حاتم بن عارف العوني أن معنى هذين النصين وما في معناهما أن الذي ينفع الإنسان من جهة نفسه تقواه، وأن ما يستحقه من رفعة المكانة عند ربه هو ما عمل من الباقيات الصالحات، وأنه السبب الأكبر لرفعة المكانة عند الله يجازيه عليه في الآخرة.

وأما ما يحققه الإنسان بفضل جنسه أو بفضل أصوله أو فروعه، فذلك هبة ربانية كبقية الهبات مثل الغنى والقوة، وهو محض تفضل من الله، فلا يصح أن يكون سبباً للتواكل ولا مدعاة للعنصرية والتفاخر.

هذه إضاءة لا يسمح المجال بأكثر منها، وأدلها في ما سبق الإشارة إليه، وهي ليست جديدة فقد أثارها كارهو العرب منذ قوضت عروشهم، وتصدى لدفعها علماء الإسلام من العرب والعجم..

وحسب العرب فضلاً اختيار الرسول منهم، واختيار لغتهم للكتاب، وذلك تفضيل لا يضره إنكار من يرد الأدلة ليبحث لدعواه عن دليل، ولن يقلل منه اتهام الداحضين للباطل بما يشيع في وسائل الإعلام من ألفاظ يُروج لها، ثم لا تلبث أن تهوي هي ودعاواها كما تهوي الرمال بعد هدوء العاصفة، وهي واحدة مما يتعرض له العرب في زمننا..

وسوف تتلاشى بتلاشي القوة الدافعة، فالقوة الكامنة في أمة العرب والإسلام أثبتت أن لها من الأصالة ما يحطم الموجات، ويصد الزوابع المرسلة من بعيد.[289]

[289] – انظر: موقع الملاحم والفتن على الرابط الآتي:
http://alfetn.com/vb3/showthread.php?t=20280

الملحق الخامس: مقال علمي أيضاً

مقال حول: فضل اللغة العربية على اللغات كفضل القمر ليلة البدر على الكواكب، كتبه د. محمود بن يوسف فجال المستشار في وزارة الشؤون الإسلامية

إن الوعي العميق بأهمية هذا الموضوع هو الدافع لبيان فضل العرب، وكمال لغة لسانهم .

والعنايةُ باللسان العربي هو سرّ بقائنا ورقينا، وسرّ انتشار الإسلام في ربوع المعمورة .

واللغةُ العربية باعثةُ الحضارة العربية، وجامعةُ الشعوبِ الإسلامية وسرّ وجود المسلمين القرآنُ الكريم.

وقد قال الله – عز وجل – فيه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (الحجر: 9).

وهذا المقال يشتمل على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: في فضل العرب ولسانهم

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية –رحمه الله– في (اقتضاء الصراط المستقيم) (1: 419): فإن

الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، عبرانيهم وسريانيهم، روميهم وفرسيهم وغيرهم.

ثم قال في :(1: 420) وأن قريشًا أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله، أفضل بني هاشم، فهو أفضل الخلق نفسًا، وأفضلهم نسباً .

وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم لمجرد كون النبي منهم، وإن كان هذا من الفضل. بل هم في أنفسهم أفضل، وبذلك يثبت لرسول الله، أنه أفضل نفسًا ونسبًا، وإلاَّ لزم الدور.

ولهذا ذكر أبو مُحَمَّد حرب بن إسماعيل الكرماني صاحب الإمام أحمد في وصفه للسنة التي قال فيها: هذا مذهب أئمة العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها .

فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة، زائل عن منهج السنة، وسبيل الحق .

وهو مذهب أحمد، وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وسعيد بن منصور

وغيرهم ممن جالسنا، وأخذنا عنهم العلم، وكان من قولهم: إن الإيمان قول وعمل ونية. وساق كلامًا طويلاً.. إلى أن قال :ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها، ونحبهم لحديث رسول الله، (حبُّ العرب إيمان، وبغضهم نفاق).

ولا نقول بقول الشعوبية، الذين لا يحبون العرب، ولا يقرون بفضلهم، فإن قولهم بدعة وخلاف، ويروى هذا الكلام عن أحمد نفسه.

ثم قال في :(1: 421) وذهبت فرقة من الناس أن لا فضل لجنس العرب على جنس العجم، وهؤلاء يُسَمَّوْنَ الشعوبية، لانتصارهم للشعوب، التي هي مغايرة للقبائل كما قيل: القبائل :للعرب، والشعوب: للعجم. ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب. والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق، إما في الاعتقاد، وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس، مع شبهات اقتضت ذلك. ولهذا جاء في الحديث: (حب العرب إيمان وبغضهم نفاق).

ثم قال في (1: 422): مع أن الكلام في هذه المسائل لا يكاد يخلو عن هوى للنفس، ونصيب للشيطان من الطرفين، وهذا محرَّم في جميع المسائل، فإن الله قد أمر المؤمنين بالاعتصام بحبل الله جميعاً، ونهاهم عن التفرق والاختلاف، وأمرهم بإصلاح ذات البين.

ثم قال في (1: 431): فإن الله تعالى خص العرب ولسانهم بأحكام تميزوا بها، ثم خصَّ قريشًا على

سائر العرب بما جعل فيهم من خلافة النبوة، وغير ذلك من الخصائص.

ثم قال في (1: 447): وسبب هذا الفضل – والله أعلم – ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم. وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع، وإما بالعمل الصالح، والعلم له مبدأ، وهو قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ، وتمام وهو قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة، والعرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة. ولسانهم أتم الألسنة بيانًا وتمييزًا للمعاني، جمعًا وفرقاً، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل إذا شاء المتكلم الجمع...

وقال –رحمه الله -في (مجموع الفتاوى) (19: 29): وقد ثبت عنه، أنه قال: (إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم .فأنا خيركم نفسًا وخيركم نسباً).

وجمهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم، كما أن جنس قريش خير من غيرهم، وجنس بني هاشم خير من غيرهم. وقد ثبت في الصحيح عنه، أنه قال: (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا).

لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كلُّ فرد أفضلَ من كل فرد، فإن في غير العرب

خلقًا كثيرًا خيرًا من أكثر العرب، وفي غير قريش من المهاجرين والأنصار من هو خير من أكثر قريش. وفي غير بني هاشم من قريش وغير قريش من هو خير من أكثر بني هاشم.

وقال -رحمه الله- في (مجموع الفتاوى) (27 :472): إن بني هاشم أفضلُ قريش، وقريشًا أفضلُ العرب، والعربُ أفضل بني آدم.

وقال في (مجموع الفتاوى) (15: 431): فغلب على العرب القوة العقلية النطقية، واشتق اسمُها من وصفها فقيل: عرب من الإعراب، وهو البيان والإظهار، وذلك خصوصًا القوة النطقية.. ولهذا كانت العرب أفضل الأمم...

المسألة الثانية: اللغة العربية عند علماء الإسلام غير العرب

أذكر ما يراه علماء الإسلام غير العرب من أن اللغة العربية أفضل اللغات وأكملها بالحياة والانتشار. ومن هؤلاء العلماء:

1- أبو حاتم الرازي(أحمد بن حمدان) المتوفى سنة (322هـ) صاحب كتاب (الزينة في الكلمات الإسلامية) عقد (1/60-66) فصلًا بعنوان: (فضل لغة العرب) ذكر فيه أن لغات البشر كثيرة لا

يمكن حصرها، وأن أفضلها أربع: العربية، والعبرانية، والسريانية، والفارسية، وأن أفضل هذه الأربع لغة العرب، فهي أفصح اللغات وأكملها وأتمها وأعذبها وأبينها...

2- أبو الحسين أحمد بن فارس المتوفى سنة (395 هـ) قال في (الصاحبي) (16): (باب لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها)، مشيرًا إلى قوله تعالى: {لتكونَ من المنذرينَ بلسان عربيٍّ مبين} (الشعراء: 195). وقال أيضاً: فلما خَصّ - جل ثناؤه - اللسانَ العربيّ بالبيانِ، عُلِمَ أن سائر اللغات قاصرةٌ عنه، وواقعة دونه .

فإن قال قائل : فقد يقع البيانُ بغير اللسان العربي، لأن كلَّ مَنْ أفْهَمَ بكلامه على شرط لغته فقد بَيَّنَ.

قيل له: إن كنتَ تريد أن المتكلّم بغير اللغة العربية قد يُعْرِبُ عن نفسه حتى يُفْهِمَ السامعَ مرادَه فهذا أخس مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدلُّ بإشارات وحركات له على أكثر مراده، ثم لا يسمّى متكلماً، فضلًا عن أن يُسمّى بَيِّنًا أو بليغاً.

وإن أردت أنَّ سائر اللغات تُبَيّنُ إبانةَ اللغة العربية فهذا غَلط.

3- أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة (430هـ) قال في كتابه (فقه اللغة وسر العربية) (21): ومَنْ

هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وأتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أنّ محمدًا خيرُ الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال عليها وعلى تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم...

4- أبو القاسم محمود الزمخشري المتوفى سنة(538هـ) قال في مقدمة كتابه (المفصل في علم العربية): اللهَ أحمدُ على أن جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعرب، والعصبية، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز، وعصمني من مذهبهم الذي لم يُجْدِ عليهم إلا الرشقَ بألسنةِ اللاعنينَ، والمِشْقَ بأسِنَّة الطاعنين...

المسألة الثالثة: اللغة العربية عند الغربيين

أذكر ما يراه كُتّاب الغرب عن اللغة العربية الفصحى. ومن هؤلاء:

1- قال كارلونلينو :اللغة العربية تفوق سائر اللغات رونقًا وغنى، ويعجز اللسان عن وصف محاسنها .

2- قال فان ديك (الأمريكي): العربية أكثر لغات الأرض امتيازاً، وهذا الامتياز من وجهين: الأول: من حيث ثروة معجمها. والثاني: من حيث استيعابها آدابها.

3- قال الدكتور فرنباغ (الألماني): ليست لغة العرب أغنى لغات العلم فحسب، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العدّ، وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق، أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجابًا لا يتبين ما وراءه إلاَّ بصعوبة.

4- قال فيلا سبازا: اللغة العربية من أغنى لغات العالم، بل هي أرقى من لغات أوروبا، لتضمنها كلَّ أدوات التعبير في أصولها، في حين أن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وسواها قد تحدرت من لغات ميتة، ولا تزال حتى الآن تعالج رمم تلك اللغات لتأخذ من دمائها ما تحتاج إليه.

هذا ما أردت بيانه، ليتضح لكل ذي عقل وقلب وعلم أن جنس العرب أفضلُ من جنس العجم، وأن لسانهم أتمُّ الألسنة بياناً. هذا ما عليه أهل السنة والجماعة. كما أوضحته من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .[290]

[290] – انظر: منتديات الأكاديمية الإسلامية المفتوحة على الرابط:
http://forum.islamacademy.net/showthread.php?t=41621

الملحق السادس: بحث علمي

بحث عن: فضائل اللّغة العَربية وعلومها، وكيف يمكن تعلّمها، كتبه: نظام الدّين إبراهيم أوغلو، محاضر بجامعة هيتيت – تركيا

اللّغةُ العربيّةُ

تعني تعلّمُ الفَصَاحةَ والبَلاغةَ، وكذلك تصحيحُ الخطأَ الحَاصِل من عدم فَهمِ وتَفهمِ الجُمَلِ.

إنّها لغة مهمةٌ من بين 3000 لغة في العالم. وتُعتبرُ اللّغةُ العربيةُ من اللّغاتِ المقدّسةِ ، بل تُعتبر من أقدسِ اللّغاتِ الأربعةِ :السّريانيّةِ واليُونانيّةِ والعبرانيّةِ والعَربيّةِ، لأنّها غنيّة بالكلماتِ والمترادفاتِ والتشبيهِ والمجازِ.، وكذلك لغة القرآن الكريم والتي تجمع فيها كلمات دينيّة لكافة لغات الأديان. وأشادَ ماريو بِلْ، مؤلف كتاب قصة اللغات، بأنَّ العربيةَ هي اللُّغة العالميةُ في حضاراتِ العُصورِ الوسطى، وكانت رافداً عظيماً للإنكليزية في نهضتها وكثيرٍ من الأوربيّات، وقد أورد قاموس Littre قوائمَ بما اقتبسته هذه اللغات من مفرداتٍ عربيةٍ، وأولها الإسبانية ثم الفرنسية والإيطالية واليونانية والمجرية ، وكذلك لأرمنية والروسية وغيرها، ومجموعها 27 لغة، وتقدر المفردات بالآلاف [1].

عَرَفَ عظمةَ اللغة العربية مَنْ اطَّلع عليها وتعلَّمها وغاص في أسرارها من العرب في القديم والحديث ، ولا عجب في أنْ يشهدوا بعظمتها لأنهم أهل اللغة، والاطّلاع على أقوالهم يزيدنا علماً وثقةً بها، لكنّ الاطّلاع على شهادات غير العرب في العربية له طَعْمٌ آخر، لأنّهم عرفوا قيمةَ لغتنا وهم ليسوا منّا، وهو ما يدفعنا إلى محاولة معرفة ما عرفوه منها، لنزداد اعتزازاً بها ونغرس الاعتزاز في نفوس أبنائنا. إنّ كثيراً من أبناء المسلمين يجهل فضل لغته وجوانب عظمتها.

يمكن بيان فضل العربية ببعض الأدلة: ففي القرآن الكريم نجد آيات كثيرة على اللّغة العربيّة: كقوله تعالى : « إنَّا أنزلناه قُرآناً عربيّاً لعلَّكم تعقلون » [يوسف: 2] ، « إنَّا جعلناهُ قرآناً عربيّاً لعلّكم تعقلون » [الزّخرف:3] ، « قُرآناً عربيّاً غَيرَ ذي عوجٍ لعلَّهم يتَّقون » [الزّمر: 2] ، « إنَّا سمعنا قرآناً عجباً، يهدي إلى الرُّشدِ فآمنَّا بهِ » [الجنّ: 2] ، « قُل هو للَّذين آمنوا هدىً وشفاءٌ » [فُصِّلت: 44] ، والهدى: يعني العقل والعظمة في البصيرة ومعرفة حقائق الأمور، كما في قوله تعالى: « أولئك الَّذين هداهم اللهُ وأولئك هم أولو الألباب » [الزّمر: 18]. ونرى أيضاً في قول الرسول ، صلى الله عليه وسلم: حين شجّع أصحابه على تعلّم اللّغة فقال : « تعلّموا العربيّة وعلّموها النّاسَ ». وقوله : « خيركم من تعلّم القرآنَ وعلّمه » . وقيل للرسول ﷺ : ما الجمال في الرّجُل ؟ قال : « فَصاحةُ لسانهِ ». و: « من تعلمَّ لغةَ قومٍ أَمِنَ شرَّهم ».

يتبيّن من كلّ هذا أنّ تعلُّمَ اللّغة العربيّة هدايةٌ ورحمةٌ، ثمّ بُشرى ونور وشِفاءٌ لما في الصّدور، وكذلك عبادةٌ وتعقّلٌ وتوسّع للأفق، بما أنّ طلب العلم فرضٌ وما لايتم إلاّ به يكون أيضاً فرضاً، لذا يُمكن القول بما قاله ابن تيميّة رحمه الله : « معلومٌ أنّ تعلمَ العربية وتعليمَ العربية فرضٌ على الكفاية، لأنّه لا يُفهم العلوم الإسلاميّة إلاّ باللّغة العربيّة ».

فضائل اللغة العربيّة في المصادر العربية

1 – قول عمر ﷺ : « تعلَّموا النَّحو كما تُعلَّمون السُّنن والفرائضَ ».، و: «تعلَّموا العربيّة فإنّها من دينكم ».

2 – قول الثّعالبي في كتابه فقه اللغة وسرُّ العربية : « إنّ مَن أحَبَّ اللهَ أحبَّ رسولهُ، ومن أحبَّ النّبي أحَبَّ العَربَ، ومَن أحبَّ العربَ أحبَّ اللُّغة العربيّةَ التي بها نزلَ أفضلَ الكُتبِ على أفضلَ العجمِ والعربِ، ومَن أحبَّ العربيّةَ عُنيَ بها وثابرَ عليها، وصرفَ هِمَّتهُ إليها».

3 – قول شَّيخُ الإسلام ابن تيميّة: « إنّ اللغةَ العربيّةَ من الدِّين، ومعرفتُها فرضٌ وواجبٌ، فإنَّ فهم الكِتابِ والسُّنةِ فرضٌ، ولا يُفْهمُ إلاّ باللغةِ العربيةِ، وما لا يتُّمُ الواجبُ إلاّ بهِ فهو واجبٌ » .وقوله أيضاً: « وليس أثر اعتياد اللغة الفصحى مقصوراً على اللسان ، بل يتعمق حتى يؤثر في العقل

والخلق والدين تأثيرا قوياً بيّناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق» [7].

4 – قال ابن تيميّة رحمه الله : « وما زال السلف يكرهون تغييرَ شعائرِ العربِ حتى في المعاملات ، وهو التكلُّم بغير العربية إلاّ لحاجة ، كما نصَّ على ذلك مالك والشافعي وأحمد، بل قال مالك : « مَنْ تكلّم في مسجدنا بغير العربية أُخرِجَ منه » مع أنّ سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها، ولكن سوغوها للحاجة، وكرهوها لغير الحاجة، ولحفظ شعائر الإسلام » [8].

5 – قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله :« لا بُدّ في تفسير القرآن والحديث من أن يُعرَف ما يدلّ على مراد الله ورسوله من الألفاظ ، وكيف يُفهَم كلامُه . فمعرفة العربية التي خُوطبنا بها ممّا يُعين على أن نفقه مرادَ اللهِ ورسولِه بكلامِه ، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني ، فإنّ عامّة ضلال أهم البدع كان بهذا السبب ، فإنّهم صاروا يحملون كلامَ اللهِ ورسولِه على ما يَدّعون أنّه دالٌّ عليه ، ولا يكون الأمر كذلك » [9].

6 – قال ابن تيميّة رحمه الله : « معلومٌ أنّ تعلمَ العربية وتعليمَ العربية فرضٌ على الكفاية، وكان السلف يؤدّبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمرَ إيجابٍ أو أمرَ استحبابٍ أن نحفظ القانون

العربي، ونُصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنّة، والاقتداء بالعرب في خطابها ، فلو تُرك الناس على لحنهم كان نقصاً وعيباً » [10].

7 – قول الفارابي يمدح العربية ويقول : « بأنها من كلام أهل الجنّة، وهو المنزّه بين الألسنة من كل نقيصة، والمعلّى من كل خسيسة، ولسان العرب أوسط الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً » [11].

8 – قال ابن قيّم الجوزيّة رحمه الله : « وإنّما يعرِفُ فضْلَ القرآن مَنْ عرف كلام العرب ، فعرف علم اللغة وعلم العربية ، وعلم البيان ، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها ، ورسائلها ... » [12].

9 – ونقل شيخ الإسلام عن الإمام أحمد كراهة الرَطانةِ ، وتسميةِ الشهورِ بالأسماءِ الأعجميّةِ ، والوجهُ عند الإمام أحمد في ذلك « كراهةُ أن يتعوّد الرجل النطقَ بغير العربية» .

10 – قال مصطفى صادق الرافعي رحمه الله : « ما ذلَّت لغةُ شعبٍ إلاّ ذلَّ ، ولا انحطّت إلاّ كان أمره في ذهابٍ وإدبارٍ ، ومن هذا يفرض الأجنبيُّ المستعمرُ لغته فرضاً على الأمّة المستعمَرة ، ويركبهم بها، ويُشعرهم عظمته فيها، ويستلحِقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاماً ثلاثةً في عملٍ واحدٍ :

أمّا الأول فحَبْس لغتهم في لغته سجناً مؤبّداً، وأمّا الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً ونسياناً ، وأمّا الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرُهم من بعدها لأمره تَبَعٌ » [13].

11 – ذكر الشافعيُّ أَنّ على الخاصَّة الّتي تقومُ بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم الاجتهاد في تعلّم لسان العرب ولغاتها ، التي بها تمام التوصُّل إلى معرفة ما في الكتاب والسُّنن والآثار وأقاويل المفسّرين من الصحابة والتابعين، من الألفاظ الغريبة، والمخاطباتِ العربيّة، فإنّ من جَهِلَ سعة لسان العرب وكثرة ألفاظها، وافتنانها في مذاهبها، جَهِلَ جُملَ علم الكتاب، ومن علمها، ووقف على مذاهبها، وفَهِم ما تأوّله أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبه الدَّاخلةُ على من جَهِلَ لسانها من ذوي الأهواء والبدع » [14].

فضائل اللغة العربيّة في المصادر الغير العربية

من أجل معرفة فضل لغة القرآن يجب علينا من قراءة هذه الأقوال سواءً قالها عربيٌ أم غير عربي.

1 – قوال المستشرق الفرنسي رينان : « من أغرب المدْهِشات أن تنبتَ تلك اللغةُ القوميّةُ وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمّةٍ من الرُحّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرةِ مفرداتها ودقّةِ معانيها وحسنِ نظامِ مبانيها، ولم يُعرف لها في كلّ أطوار حياتها طفولةٌ ولا شيخوخةٌ، ولا نكاد

نعلم من شأنها إلاّ فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تُبارى، ولا نعرف شبيهاً بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملةً من غير تدرّج وبقيت حافظةً لكيانها من كلّ شائبة »[15].

2 – قول المستشرقة الألمانية الدّكتورة في الفلسفة أنا ماري شيمل ، والتي ترجمت القرآنَ الكريمِ الى الألمانية:« واللغةُ العربيةُ لغةٌ موسيقيّةٌ للغايةِ، ولا أستطيعُ أن أقول إلاّ أنها لا بُدَّ أنْ تكونَ لغةُ الجنّةِ».

3 – قال المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس: « إنَّ في الإسلام سنداً هامّاً للغة العربية أبقى على روعتها وخلودها، فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة، على نقيض ما حدث للغات القديمة المماثلة، كاللاتينية حيث انزوت تماماً بين جدران المعابد. ولقد كان للإسلام قوة تحويل جارفة أثرت في الشعوب التي اعتنقته حديثاً ، وكان لأسلوب القرآن الكريم أثر عميق في خيال هذه الشعوب فاقتبست آلافاً من الكلمات العربية ازدانت بها لغاتها الأصلية فازدادت قوةً ونماءً. والعنصر الثاني الذي أبقى على اللغة العربية هو مرونتها التي لا تُبارى ، فالألماني المعاصر مثلاً لا يستطيع أن يفهم كلمةً واحدةً من اللهجة التي كان يتحدث بها أجداده منذ ألف سنة ، بينما العرب المحدثون يستطيعون فهم آداب لغتهم التي كتبت في الجاهلية قبل الإسلام » [16].

4 – قال المستشرق الألماني يوهان فك: « إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة ، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزاً لغوياً لوحدة

عالم الإسلام في الثقافة والمدنية ، لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية »[17].

5 – قال جوستاف جرونيباوم :« عندما أوحى الله رسالته إلى رسوله مُحَمَّد أنزلها « قرآناً عربياً » والله يقول لنبيّه: « فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدّاً » ، وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها، فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية ، وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان، أما السعة فالأمر فيها واضح، ومن يتّبع جميع اللغات لا يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية ، ويُضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات . وتزيّن الدقة ووجازة التعبير لغة العرب، وتمتاز العربية بما ليس له ضريب من اليسر في استعمال المجاز، وإن ما بها من كنايات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيراً فوق كل لغة بشرية أخرى ، وللغة خصائص جمّة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف له نظائر في أي لغة أخرى، وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني، وفي النقل إليها، يبيّن ذلك أن الصورة العربية لأيّ مثل أجنبيّ أقصر في جميع الحالات ، وقد قال الخفاجي عن أبي داود المطران – وهو عارف باللغتين العربية والسريانية – أنه إذا نقل الألفاظ الحسنة إلى السرياني قبُحت وخسّت ، وإذا نُقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد طلاوةً وحسناً ، وإن الفارابي على حقّ حين يبرّر مدحه العربية بأنها من كلام أهل الجنّة ، وهو المنزّه بين الألسنة من

كل نقيصة ، والمعلّى من كل خسيسة ، ولسان العرب أوسط الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً » [18].

6 – قال المستشرق الألماني أوجست فيشر : « وإذا استثنينا الصين فلا يوجدُ شعبٌ آخرُ يحقّ له الفَخارُ بوفرةِ كتبِ علومِ لغتِه ، وبشعورِهِ المبكرِ بحاجته إلى تنسيقِ مفرداتها ، بحَسْبِ أصولٍ وقواعدَ غيرَ العرب» [19].

7 – قال هايوود: « إن العرب في مجال المعجم يحتلّون مكان المركز، سواءً في الزمان أو المكان، بالنسبة للعالم القديمِ أو الحديثِ ، وبالنسبة للشرقِ أو الغربِ» .

8 – قال المستشرق ألفريد غيوم عن العربية : « ويسهل على المرء أن يدركَ مدى استيعابِ اللغةِ العربيةِ واتساعها للتعبير عن جميع المصطلحات العلمية للعالم القديم بكل يسرٍ وسهولة، بوجود التعدد في تغيير دلالة استعمال الفعل والاسم ...» ، ويضرب لذلك مثلاً واضحاً يشرح به وجهة نظره حيث يقول : « إن الجذر الثلاثي باشتقاقاته البالغة الألفَ عَدّاً ، وكلٌ منها متّسق اتساقاً صوتياً مع شبيهه ، مشكّلاً من أيّ جذر آخر ، يصدر إيقاعاً طبيعياً لا سبيل إلى أن تخطئه الأذن ، فنحن (الإنكليز) عندما ننطق بفكرة مجرّدة لا نفكر بالمعنى الأصلي للكلمة التي استخدمناها، فكلمة (Association) مثلاً تبدو منقطعة الصلة ب – (Socins) وهي الأصل، ولا بلفظة

(Ad) ، ومن اجتماعهما تتألف لفظة (Association) كما هو واضح وتختفي الدالّة مدغمة لسهولة النطق ، ولكن أصل الكلمة بالعربية لا يمكن أن يَسْتَسِرّ ويَسْتَدِقّ على المرء عند تجريد الكلمة المزيدة حتى يضيع تماماً ، فوجود الأصل يظلّ بَيّناً محسوساً على الدوام، وما يعدّ في الإنجليزية محسّناتٍ بديعيةً لا طائل تحتها ، هو بلاغةٌ غريزيةٌ عند العربي » [20].

9 – قال المستشرق الألماني نولدكه عن العربية وفضلها وقيمتها: « إن اللغة العربية لم تَصِرْ حقّاً عالميةً إلا بسبب القرآن والإسلام ، وقد وضع أمامنا علماءُ اللغة العرب باجتهادهم أبنيةَ اللغة الكلاسيكية ، وكذلك مفرداتها في حالة كمالٍ تامٍّ ، وأنه لا بدّ أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات اللغة العربية، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطةٌ جداً ، ولكنهم في داخل هذه الدائرة يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمةٍ خاصّةٍ، والعربية الكلاسيكية ليست غنيّةً فقط بالمفردات ولكنها غنيةٌ أيضاً بالصيغ النحوية ، وتهتمّ العربية بربط الجمل ببعضها ... وهكذا أصبحت اللغة (البدويّة) لغةً للدين والمنتديات وشؤون الحياة الرفيعة ، وفي شوارع المدينة، ثم أصبحت لغةَ المعاملات والعلوم، وإن كلَّ مؤمنٍ غالباً جداً ما يتلو يومياً في الصلاة بعض أجزاء من القرآن، ومعظم المسلمين يفهمون بالطبع بعض ما يتلون أو يسمعون، وهكذا كان لا بُدّ أن يكون لهذا الكتاب من التأثير على لغة المنطقة المتّسعة ما لم يكن لأيّ كتابٍ سواه في العالم ، وكذلك يقابل لغة الدين ولغة العلماء والرجل العادي بكثرة، ويؤدّي إلى تغيير كثيرٍ من الكلمات والتعابير في اللغة الشعبية إلى الصحّة » [21].

10 – قال المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: « استطاعت العربية أن تبرز طاقة الساميين في معالجة التعبير عن أدق خلجات الفكر سواءً كان ذلك في الاكتشافات العلمية والحسابية، أو وصف المشاهدات، أو خيالات النفس وأسرارها . واللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي، والعربية من أنقى اللغات، فقد تفرّدت بتفرّدها في طرق التعبير العلمي والفني والصوفي، إنّ التعبير العلمي الذي كان مستعملاً في القرون الوسطى لم يتناوله القدم، ولكنه وقف أمام تقدّم القوى المادية فلم يتطوّر .أما الألفاظ المعبّرة عن المعاني الجدلية والنفسانية والصوفية فإنها لم تحتفظ بقيمتها فحسب، بل تستطيع أن تؤثر في الفكر الغربي وتنشّطه .ثمّ ذلك الإيجاز الذي تتسم به اللغة العربية والذي لا شبيه له في سائر لغات العالم، والذي يُعدّ معجزةً لغويةً كما قال البيروني » [22].

11 – قالت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة : « كيف يستطيع الإنسان أن يُقاوم جمالَ هذه اللغة ومنطقَها السليم وسحرَها الفريد ؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة ، فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغفٍ ، حتى إن اللغة القبطية مثلاً ماتت تماماً ، بل إن اللغة الآرامية لغة المسيح قد تخلّت إلى الأبد عن مركزها لتحتلّ مكانها لغة مُحَمَّد » [23].

12 – قال المستشرق الألماني كارل بروكلمان : « بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع مدىً لا تكاد تعرفه أيُّ لغةٍ أخرى من لغات الدنيا، والمسلمون جميعاً مؤمنون بأن العربية وحدها اللسانُ الذي

أُحِلّ لهم أن يستعملوه في صلاتهم ...» [24]. و قال د. جورج سارتون : « وهبَ اللهُ اللغة العربية مرونةً جعلتها قادرةً على أن تدوّن الوحي أحسن تدوين ... بجميع دقائق معانيه ولغاته ، وأن تعبّر عنه بعباراتٍ عليها طلاوة وفيها متانة»[25].

13 - أكّد المستشرق ريتر أستاذ اللغات الشرقية بجامعة إستنبول: « إن اللغة العربية أسهل لغات العالم وأوضحها ، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقةٍ جديدةٍ لتسهيل السهل وتوضيح الواضح. إن الطلبة قبل الانقلاب الأخير في تركيا كانوا يكتبون ما أمليه عليهم من المحاضرات بالحروف العربية وبالسرعة التي اعتادوا عليها – لأن الكتابة العربية مختزلةٌ من نفسها – أما اليوم فإن الطلبة يكتبون ما أمليه عليهم بالحروف اللاتينية ، ولذلك لا يفتأون يسألون أن أعيد عليهم العبارات مراراً، وهم معذورون في ذلك، لأن الكتابة الإفرنجية معقّدةٌ والكتابة العربية واضحةٌ كلّ الوضوح، فإذا ما فتحتَ أيّ خطابٍ فلن تجدَ صعوبةً في قراءةِ أردأ خطٍّ به، وهذه هي طبيعة الكتابة العربية التي تتسم بالسهولة والوضوح » [26].

14 - العالم اللغوي أفرام نعوم تشومسكي Afram Noam Chomsky ابن معلم اللغة العبرية وأحد خريجي جامعة بنسلفانيا ، وهو أستاذٌ في معهد ماساشوست ومفكرٌ يهوديٌ كبير، فإنه أقرّ بالحق العربي وبمكانة العربية، وقد تزعّم الدراسات اللغوية المعاصرة وكوّن نظريةً جديدةً قلبت الفكر اللغوي رأساً على عقب، أصدر كتابه الأول في التراكيب النحوية Syntactic

Structure في سنة 1957م نقد فيه مدرسة علم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics التي كانت سائدةً في الغرب حتى عهدٍ قريبٍ ، وقد ميّز بين بنيتين في الجملة هما: البنية العميقة والتركيب السطحي ، وأوضح أن البنية الأولى هي أساس الثانية. نوّه تشومسكي في معرض ردّه على استفسارٍ وُجّه إليه في سنة 1989م بأن تأثيراتِ النحو العربي كبيرةٌ على نظريته في دراسة اللغة ، وأنه قرأ كتاب سيبويه كمرجعٍ له [27].

15 - أشاد ماريو بِلْ مؤلف كتاب « قصة اللغات » بأن العربية هي اللغة العالمية في حضارات العصور الوسطى، وكانت رافداً عظيماً للإنكليزية في نهضتها وكثيرٍ من الأوربيّات، وقد أورد قاموس Littre قوائمَ بما اقتبسته هذه اللغات من مفرداتٍ عربيةٍ ، وكانت أولها الإسبانية ثم الفرنسية والإيطالية واليونانية والمجرية وكذلك الأرمنية والروسية وغيرها ، ومجموعها 27 لغة ، وتقدر المفردات بالآلاف [28].

16 - قال المستشرق الألماني فرنباغ :« ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العدّ ، وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجاباً لا يتبيّن ما وراءه إلاّ بصعوبة » [29].

17 - قال الأستاذ ميليه :" إن اللغة العربية لم تتراجع عن أرض دخلتها لتأثيرها الناشئ من كونها لغة دين ولغة مدنية، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المبشرون، ولمكانة الحضارة التي جاءت بها

الشعوب النصرانية، لم يخرج أحد من الإسلام إلى النصرانية ، ولم تبق لغة أوربية واحدة لم يصلها شيء من اللسان العربي المبين، حتى اللغة اللاتينية الأم الكبرى، فقد صارت وعاءً لنقل المفردات العربية إلى بناتها ". (الفصحى لغة القرآن – أنور الجندي ص 303 –304).

18 – قال الفرنسي جاك بيرك :" إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية ، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات ، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا ، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية ، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية " . (الفصحى لغة القرآن – أنور الجندي ص 304).

أقسامُ عُلومُ اللغةِ العربيةِ

يمكن تقسيمها إلى إثني عشر علماً وهي: 1 – علمُ حُسنُ الخطِ والإملاءِ (قوانينُ الكتابةِ). 2 – علمُ الصّرفِ (تَصريفُ الكَلمةِ). 3 – علم المترادفات والأضداد. 4 – علمُ الإشتقاقِ (إيجادُ الكلمةِ الجديدةِ من المصادرِ). 5 – علمُ النَّحوِ وعلمُ الإعرابِ (بيان تركيب الجملة وتحليلها). 6 – عُلومُ الأدبِ: وتشمل على كتابة (النّثرِ، الخطابةِ، المقالةِ، القصّةِ، الشّعرِ، المسرحيةِ، الحكمِ والأمثالِ، التاريخِ الأدبي، وحياةِ الأدباءِ). 7 – علم البلاغة : ويشمل على (علم المعاني والبديع

والبيان). 8 - علم اللّغة أو المعاجم. 9 - علم فِقهُ اللُّغةِ. 10 - علم العَروضِ. 11 - علم القَوافي. 12 - علم النَّقد الأدبي.

بالإضافة إلى هذه العلوم يوجد فن التأويل، وفهم الجمل المعقدة، وصناعةُ التّرجمة.

كيف يمكن تعلّم اللّغة العربية

1 - نتعلم حفظ الكلمات العربية واستعمالها في الجمل:

فيبدأ الطّالب في المرحلة الأولى بحفظ الكلمات يومياً على الأقل 10 كلمات، ثمّ يتعلّم كيفية استعمال هذه الكلمات في داخل جمل بسيطة، وأن تصل حفظ الكلمات على الأقل مابين 2000 إلى 3000 كلمة.

ثمّ يبدأ بتعلّم القواعد البسيطة. وبقراءة النصوص والحكايات القصيرة مع ترجمتها.

وفي المرحلة الثانية يكمل حفظ الكلمات 5000 ويكثرها حسب قابليته. ثم يشتري كتاب قواعد

اللّغة العربية وافي يحتوي على كافة المواضيع. وأخيراً يبدأ بقراءة الكتب الأدبية والجرائد اليومية والمجلاّت مع ترجمتها بقدر الإمكان بعد توفير عدة قواميس جيّدة.

هناك أيضاً بعض الوسائل الأخرى في تعلم اللّغة مثل استماع الرّاديو والتّلفزيون والكاسيتات وأقراص (CD) وإنترنيت، وهناك مواقع لتعليم اللّغة وسوف أكرر لكم أدناه أيضاً:

ملاحظة: المحادثة والتّكلم شيء أخر يحتاج إلى موهبة (مَلَكة) خاصة أو اجتهاد أكثر، وذلك بالتّكلم مع الأصدقاء كثيراً أو الذّهاب إلى أحد البلاد العربية والبقاء هناك، والتّكلم مع الذين يتكلّمون الفصحى ولغة القرآن الكريم إذا أمكن ونحو ذلك.

2 - نتعلم كيفية تكوين كافة الجمل في اللّغة العربية من كتب قواعد اللّغة العربية:

الجملة الإسمية

1 - اسم[مُبتدأ] + اسم[خَبَر]:

- محمّدٌ طالبٌ./ القائدُ شُجاعٌ./ هذا أخي./ الأستاذُ ذاهِبٌ إلى بغدادَ./ بغدادُ ذاهِبٌ إليها الأستاذُ./ بغدادُ ذُهِبَ إليها./ بغدادُ مذهوبٌ إليها.

2 - [أداة] + اسم(اسم الأداة) + اسم[خبرها]:

كانَ اللهُ غفوراً رحيماً./ إنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ./ عسى اللهُ أنْ يغفرَ./ كادَ النّهرُ ينقضي./ ليس (ما) الطّالبُ مجتهداً./ لا إلهَ إلاّ الله.

3 - اسم(مُضَاف) +اسم(مُضَاف إليه):

- رَجُلٌ جميلُ الأخلاقِ./ هذا كِتابُ الأستاذِ./ بابُ بيتٍ./ خاتمُ فِضّةٍ.

4 - اسم(مَوصُوف) + اسم(صِفَة):

- جاءتْ المرأةُ الجَميلةُ./ هذا تِلمِيذٌ نشيطٌ./ رَأيتُ المرأةَ الجَميلةَ.

5 - عَطف: - المعطُوف + أدَاةُ عَطف + العَطف :

جَاءَ سَليمٌ وسَعِيدٌ./ رَأيتُ المعلّمَ والرّئيسَ.

الجملة الفعلية

1 - فِعْلٌ + [فَاعِلٌ]:

ذهبَ الأستاذُ إلى بغدادَ./ إلى بغدادَ ذهبَ الأستاذُ./ ذهبَ إلى بغدادَ الأستاذُ./ كَفى بالله شهيداً./ ما جَاءَنا من بشير./ يَسرّني أنْ تنجحَ./ نعمَ العبدُ أيوّبُ./ بِئس الطّالب أحمدُ.

- فِعْلٌ (مَجهُول) + [نَائِب فَاعِلٌ]:

فُتحَ البابُ./ كُسي الفقيرُ ثوباً./ سُلّمَ على أحمدَ.

2 - [أدَاةٌ] + فِعْلٌ + فَاعِلٌ :

إنْ تجتهدْ تنجحْ./مَنْ يطلب يجِدْ./ لمْ يَقُمْ أحمدُ./لا تكذِبْ./ لن يُفلحَ الكاذبونَ./ حتى يأتيَ أخي.

3 - فِعْلٌ + فَاعِلٌ+ [مَفعُولٌ بهِ]:

ضَربَ مُحمدٌ زيداً./ كتبَ الرّسالةَ./ أكلتُ التّفاحةَ.

4 - فِعْلٌ+ فَاعِلٌ+ مَفعُولٌ بهِ أوّل+ [مَفعُولٌ بهِ ثانٍ]: (ظنّ وأخواتها):

جَعَل الأستاذُ الدّرسَ سَهلاً./ اِتّخذَ الله إبراهيمَ خليلاً.

5 - فِعْلٌ+ فَاعِلٌ أو مَفعُولٌ بهِ (مُميّز)+ [تمييز]:

طَابَ أحمدُ نفساً./ زَرعتُ الوَردَ في الحديقةِ./ أنا أكثرُ منكَ مالاً./ زَادَ الرّجُلُ عِلماً./ إشتعلَ الرّأسُ شيباً.

6 - فِعْلٌ+فَاعِلٌ (مُستثنى منهُ) +أداة إستثناء +[مُستثنى]:

جاء الطّلابُ إلاّ نفساً./ ما جاءَ القومُ غيرُ سعيدٍ./ ما قامَ إلاّ زيدٌ.

وجمل أخرى كثيرة.

3 - نتعلم مراحلُ تعليم اللّغة

وهي 1 - القِراءةُ وفَهم المقروءِ. 2 - السّماعُ وفَهمُ المسموعِ. 3 - التّعبير الشّفهي والمحادثة الجيّدة . 4 - التّعبيرُ التّحريري ، أي كتابة القصص والمقالات ونحو ذلك.

4 - نتعلم شروطُ التّوفيق في التعليم

وهي كالأتي: 1 - الرّغبةُ والحُبُّ. 2 - العَزمُ والإرادةُ . 3 - الصّبرُ على الاجتهادِ. 4 - تكرارُ المواضيعِ.

5 – نتعلم أسبابُ النّجاحِ في التعليم

وهي كالأتي 1 – الطّالبُ الجيّدُ: وله تأثيرهُ نسبة 50 %، يدخل فيها الصّفات الذّاتية والذّكاء وقابلية التّعلم والاستيعاب. 2 – الأستاذُ الجيّدُ والإدارةُ الجيّدةُ: وله تأثيره نسبة 25 %. 3 – العائلةُ الجيّدةُ والمحيطُ الجيّدُ: ولها تأثيرها نسبة 25 %. علماً أنّ هذه النّسب تخمينية، وزيادتها تدل على أهميتها، ثمّ إهمال أحد هؤلاء واجبه فسوف تؤثر بشكل سلبي وتنازلي على نسبة أسباب النجاح عند الطّالب. [291]

وفيما يلي مسرد الهوامش لهذا البحث:

[1] انظر: فن الترجمة وعلوم العربية ، إبراهيم بدوي الجيلاني ، ص17.
[7] كتاب: اقتضاء الصراط المستقيم ، ص 207.
[8] الفتاوى ، 255/32.
[9] كتاب الإيمان ، ص 111.
[10] الفتاوى ، 252/32.
[11] انظر : الفصحى لغة القرآن ، أنور الجندي ، ص 30 .
[12] الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، ص 7.

291 – مجلة واتا للترجمة واللغات، السنة الأولى، العدد 4، خريف 2007.
وقد أخذنا البحث من منتدى آرتين لتعليم اللغات، على الرابط الآتي:
http://forum.art-en.com/viewtopic.php?style=9&t=9000

[13] وحي القلم ، 33/3 – 34.
[14] مقدمة التهذيب ، الأزهري ، 5/1.
[15] مجلة اللسان العربي ، 8/24.
[16] الفصحى لغة القرآن ، أنور الجندي ، ص 301.
[17] المصدر السابق ، ص 302.
[18] نفسه ، ص 306 .
[19] مقدمة المعجم اللغوي التاريخي ، أوغست فيشر.
[20] مجلة المورد – المجلد 5 العدد ص 43 ، ومقدمة مدّ القاموس – إدوارد لين – ترجمة عبد الوهاب الأمير.
[21] اللغة العربية ، نذير حمدان ، ص 133.
[22] .الفصحى لغة القرآن ، أنور الجندي ص 301 - 302.
[23] مجلة اللسان العربي 86/24 عن كتاب : شمس العرب تسطع على الغرب.
[24] من قضايا اللغة العربية المعاصرة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص274.
[25] المصدر السابق .
[26] فنّ الترجمة وعلوم العربية ، إبراهيم بدوي الجيلاني ص 91.
[27] المصدر السابق ، ص 166.
[28] نفسه ، ص 178، نقلاً عن كتاب ماريو بل : The Story of Languages, pp.155-277
[29] الفصحى لغة القرآن ، ص 303.

الملحق السابع: حضارتنا في عيون الغربيين، مقال للدكتور عبد المعطي الدالاتي[292]

"لا يمكن أن نجد ديناً يحتل العلم والمعرفة

فيه محلاً بارزاً كما كان الأمر في الإسلام"

– كونستان جيورجيو –

تميزت الحضارة العربية الإسلامية بغايتها الربانية ، ورؤيتها الإنسانية ونزعتها العالمية ، ونظرتها الشمولية ، وفكرتها الوسطية ، وصبغتها الأخلاقية . وهذه الحضارة هي الوحيدة في التاريخ التي وصلت الدنيا بالآخرة ، وربطت السماء بالأرض ، وآخت بين العقل والقلب ، ومزجت المادة بالروح ، وأرضت الفرد والمجتمع ، ووازنت بين الحقوق والواجبات ، وجمعت بين الواقع والمثال .. لقد وحّدت بحق بين الثنائيات ، وأخرجت منها شراباً خالصاً سائغاً للشاربين . وفيما يلي أنقل شهادات غربية منصفة في حضارتنا انتُزعت من أقلام مفكرين غربيين درسوا الإسلام فراعهم جماله ، وأعجبتهم مبادئه ، ولكنهم لم يُنزلوا قناعاتهم من سماء العقل إلى أرض القلب ، ولم يسقوها بماء الوجدان ، فلم تنمُ غراسها ولم تثمر ! وفشلوا في أن يحوّلوا الاقتناع بالحق إلى اعتناق له ، والإعجاب بالإسلام إلى عقيدة تجري في العروق ،

---

[292] – المقال من موقع صيد الفوائد، على الرابط:
http://www.saaid.net/Doat/dali/6.htm

نعم لم يبقَ أمامهم إلا ضربة معول واحدة كي يصلوا إلى النبع الثّر الزلال ، فلم يفعلوا..حاموا وهم الظّماء حول الماء ولم ينهلوا !! وإنما أعرض أقوالهم لأولئك المهزومين أمام الغرب ، الذين لا يشربون الكأس الرويّة إلا إذا كانت بيد غربية! ولا يجرعون الدواء إلا من تلك الصيدلية!! على أن بعض هذه العبارات كانت في سياقها شَرَكاً نُصب للعقل المسلم ، ولا حرج علينا – أظن – إن لقطنا الحبة ، ومزقنا الشبكة ، وطرنا بسلام .

يقول المؤرخ الإنجليزي (ويلز) : "كل دين لا يسير مع المدنية في كل أطوارها فاضرب به عرض الحائط ، وإن الدين الحق الذي وجدته يسير مع المدنية أينما سارت هو الإسلام ... ومن أراد الدليل فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات ومناهج علمية ، وقوانين اجتماعية ، فهو كتاب دين وعلم واجتماع وخلق وتاريخ ، وإذا طُلبَ مني أن أحدّد معنى الإسلام فإني أحدده بهذه العبارة "الإسلام هو المدنية"(1).

وتقول المستشرقة زيغريد هونكه في كتابها القيم : (شمس الله تسطع على الغرب) : "إن هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء ، والتي بدأت من اللا شيء لهي جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني... وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة لفريدة من نوعها ، لدرجة تجعلها أعظم من أن تُقارَن بغيرها ، وتدعونا أن نقف متأملين : كيف حدث هذا ؟! إنه الإسلام الذي جعل من القبائل المتفككة شعباً عظيماً ،

آخت بينه العقيدة ، وبهذا الروح القوي الفتي شق العرب طريقهم بعزيمة قوية تحت قيادة حكيمة وضع أساسها الرسول بنفسه ... أو ليس في هذا الإيمان تفسير لذلك البعث الجديد ؟! والواقع أن روجر بيكون أو جاليليو أو دافنشي ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمي .. إنما السباقون في هذا المضمار كانوا من العرب الذين لجأوا – بعكس زملائهم المسيحيين – في بحثهم إلى العقل والملاحظة والتحقيق والبحث المستقيم ، لقد قدّم المسلمون أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم ... وإن كل مستشفى وكل مركز علمي في أيامنا هذه إنما هي في حقيقة الأمر نُصب تذكارية للعبقرية العربية ... وقد بقي الطب الغربي قروناً عديدة نسخة ممسوخة عن الطب العربي ، وعلى الرغم من إحراق كتب ابن سينا في مدينة بازل بحركة مسيحية عدائية ، فإن كتب التراث العربي لم تختف من رفوف المكتبات وجيوب الأطباء ، بل ظلت محفوظة يسرق منها السارقون ما شاء لهم أن يسرقوا"(2).

وعلى مدى الكتاب كانت المؤلفة تعقد المقارنات بين منهج العرب المسلمين في البحث العلمي وبين ما كان عليه العقل الغربي من تسطّح فتقول : "اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشامخة والمعرفة السطحية في أوربة التي كانت ترى أن من الكفر والضلال القول بأن الأرض كروية ، فمعلم الكنيسة لاكتانتيوس يتساءل مستنكراً: أيعقل أن يُجنّ الناس إلى هذا الحد ، فيدخل في عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض ، وأن أقدام الناس

تعلو رؤوسهم؟!!"(3).

قلت : منذ ألف عام توصل فقيه الأندلس الإمام ابن حزم إلى الجزم بكروية الأرض منطلقاً من القرآن الكريم ومن التنظيم المطّرد لمواقيت الصلاة في محيط الأرض... وقد بسط ذلك في كتابه الموسوم (الفصل بين المِلل والنِّحَل) .

ويقول العلامة بريفولت : "ما من ناحية من نواحي الازدهار الأوربي إلا يمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه لنا من كشوف مدهشة ونظريات مبتكرة ، بل إنه مدين بوجوده ذاته ... ولم يكن بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلى أوربة المسيحية ، وهو لم يَملّ قط من التصريح بأن اللغة العربية وعلوم العرب هما الطريق الوحيد لمعرفة الحق(4).. ولقد انبعثت الحضارة الإسلامية انبعاثاً طبيعياً من القرآن ، وتميزت عن الحضارات البشرية المختلفة بطابع العدل والأخلاق والتوحيد ، كما اتسمت بالسماحة والإنسانية والأخوّة العالمية"(5).

ويقول المفكر ليوبولد فايس : "لسنا نبالغ إذ قلنا إن العصر العلمي الحديث الذي نعيش فيه ، لم يُدشّن في مدن أوربة ، ولكن في المراكز الإسلامية في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة"(6).

"نحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة ، وحسب المسلمين أنهم كانوا مثالاً للكمال البشري ، بينما كنا مثالاً للهمجية"(7).

ويقول الكاتب الفرنسي أناتول فرانس في كتابه (الحياة الجميلة) : "أسوأ يوم في التاريخ هو يوم معركة (بواتييه) عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة ، ألا ليت شارل مارتل قطعت يده ولم ينتصر على القائد الإسلامي عبد الرحمن الغافقي" "حين نتذكر كم كان العرب بدائيين في جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافي الذي أحرزوه خلال مئتي سنة ، وعمق ذلك التقدم ، أمراً يدعو إلى الذهول حقاً ، ذلك بأن علينا أن نتذكر أيضاً أن النصرانية احتاجت إلى نحو من ألف وخمسمئة سنة لكي تنشئ ما يمكن أن يدعى حضارة مسيحية ، وفي الإسلام لم يُولّ كل من العلم والدين ظهره للآخر ، بل كان الدين باعثاً على العلم ، وإن الحضارة الغربية مدينة للحضارة الإسلامية بشيء كثير إلى درجة نعجز معها عن فهم الأولى إذا لم تتم معرفة الثانية"(8).

ويقول المسيو سيديو : "لم يشهد المجتمع الإسلامي ما شهدته أوربة من تحجر العقل ، وشل التفكير ، وجدب الروح ومحاربة العلم والعلماء ، ويذكر التاريخ أن اثنين وثلاثين ألف عالم قد أُحرقوا أحياء ! ولا جدال في أن تاريخ الإسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر ، بل كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك العصور المظلمة ، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة ، ومنح مخالفيه

في العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام"(9).

"لقد ديست بالأقدام تلك المدنية العظيمة في الأندلس ! ولماذا ؟ لأنها نشأت من أصول رفيعة ، ومن طباع شريفة ، نعم من رجال الإسلام . إن المدنية الإسلامية لم تتنكر يوماً للحياة"(10).

ويقول العلامة جورج سارتون :

"المسلمون عباقرة الشرق ، لهم مأثرة عظمى على الإنسانية ، تتمثل في أنهم تولّوا كتابة أعظم الدراسات قيمة ، وأكثرها أصالة وعمقاً ، مستخدمين اللغة العربية التي كانت بلا مراء لغة العلم للجنس البشري(11)... لقد بلغ المسلمون ما يجوز تسميته =معجزة العلم العربي+" .

وتقول الدكتورة لويجي رينالدي : ".. لما شعرنا بالحاجة إلى دفع الجهل الذي كان يثقل كاهلنا ، تقدمنا إلى العرب ومددنا إليهم أيدينا لأنهم كانوا الأساتذة الوحيدين في العالم"(12).

ويقول البروفسور غريسيب ، مدير جامعة برلين : "أيها المسلمون ما دام كتابكم المقدس عنوان نهضتكم موجوداً بينكم ، وتعاليم نبيكم محفوظة عندكم ، فارجعوا إلى الماضي لتؤسسوا المستقبل"(13).

ويقول المستشرق درايبر : "ينبغي أن أنعي على الطريقة التي تحايل بها الأدب الأوربي ليخفي عن الأنظار مآثر المسلمين العلمية علينا ! إن الجور المبنّي على الحقد الديني ، والغرور الوطني لا يمكن أن يستمر إلى الأبد"(14).

ويقول روم رولان : "تفرد العلم الإسلامي بأنه لم ينفصل عن الدين قط ، والواقع أن الدين كان ملهمه وقوته الدافعة الرئيسة ، ففي الإسلام ظهر العلم لإقامة الدليل على الألوهية".

ويقول رينان : "ما يدرينا أن يعود العقل الإسلامي الوَلود إلى إبداع المدنية من جديد؟ إن فترات الازدهار والانحدار مرت على جميع الأمم بما فيها أوربة المتعجرفة"(15).

ونختم بنقول من كتاب (حضارة العرب) لغوستاف لوبون يقول : "إن حضارة العرب المسلمين قد أدخلت الأمم الأوربية الوحشية في عالم الإنسانية ، فلقد كان العرب أساتذتنا ... وإن جامعات الغرب لم تعرف لها مورداً علمياً سوى مؤلفات العرب ، فهم الذين مدّنوا أوربة مادة وعقلاً وأخلاقاً ، والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه ... إن أوربة مَدينة للعرب بحضارتها ... والحق إن أتباع مُحَمَّد كانوا يذلّوننا بأفضلية حضارتهم السابقة ، وإننا لم نتحرر من عقدتنا إلا بالأمس ! وإن العرب هم أول من علّم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين ... فهم الذين علّموا الشعوب النصرانية وإن شئت فقل حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان ...

ولقد كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبة ... (16)".

إن القفزة الحضارية الهائلة التي سجّلتها أمتنا الإسلامية ، يمكنها أن تعود ، وأن تتكرر من جديد ، بشرط واحد هو أن نريد بإذن الله ، فالإمكان الحضاري الذي تهبنا إياه القيم المعصومة في الكتاب والسنة والسيرة ، ليس ببعيد على من يريده ويسعى إليه ، وقد بدأت تتفتح أزهار الانتصار العاطفي للإسلام في ضمير الأمة ، ولم يبقَ إلا أن تتعمق جذور الوعي كي تثمر هذه الأزهار . ويقع عبء التوعية أولاً على كاهل النخبة المخلصة المتخصصة المؤتَمنة على إيصال صوت نبيها إلى العالم ... وهؤلاء هم (أولو الألباب) الذين مزجوا الحق بالصواب ، والذين باعوا أعمارهم وجهودهم وطاقاتِهم لله تعالى ، فربحوا مرتين إذ البضاعة منه والثمن ! "إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأنّ لهم الجنة"(17).

وإن الحضارة في صعود ، إذ كانت النخبة المبدعة المؤمنة هي التي تقود ، ومن بعد النخبة يأتي دور الأمة ، ليقوم كل مسلم بدوره في عملية النهوض الحضاري وإن أول عمل حضاري في تاريخ الإسلام وهو بناء المسجد ، قد شاركت فيه عزائم كل المسلمين ، بقيادة نبيهم الأمين ، وكذلك الأمر في حفر الخندق إذ كان الصحابة كلهم على أمرٍ جامع ، وإن الحضارة لن تنجم إلا

عن تجمع آلاف الجهود الصغيرة النافعة ، والنهر المتدفق هو قطرات ماء تآخت ثم وجدت طريقها. .

إن على كل مسلم أن يقوم بدوره في عملية البناء الحضاري للأمة ، وإن كل مسلم مدعوّ إلى نزهة القمم ، فعليه أن يُنَزِّه نفسه عن وهدة السفوح . فأمام المسلم اليوم خياران : إما أن يسعى إلى تغيير نفسه ليتغيّر العالم ، وإما أن يُغيّر اسمه . ربنا هب عوامنا العلم ، وعلماءنا العمل ... وعاملينا الإخلاص ، وهب مخلصينا السداد والتميز في النجاح .

* * *

" من كتاب " ربحت مُحَمَّداً ولم أخسر المسيح"

وفيما يلي مسرد الهوامش لهذا البحث:

(1) عن (الإسلام والمبادئ المستوردة) د. عبد المنعم النمر (84) .

(2) (شمس الله تسطع على الغرب) ص (148 – 269 – 315 – 354) .

(3) نفسه ص (370) .

(4) (بناء الإنسانية) رويلت بريفولت نقلاً عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندي ، مجلد4 ص(710) .

(5) عن (أخطر ما تواصى به المسلمون عبر الأجيال) أنور الجندي (16) .

(6) (الإسلام على مفترق الطرق) مُحَمَّد أسد (40) .

(7) هنري شامبون عن (الإسلام والمبادئ المستوردة) د.عبد المنعم النمر (84) .

(8) المستشرق روم لاندو في (الإسلام والعرب) ص(9-246) .

(9) نقلاً عن كتاب (هكذا كانوا ... يوم كنا) د. حسان شمسي باشا (83) .

(10) الفيلسوف نيتشه عن (ظلام من الغرب) للعلامة مُحَمَّد الغزالي (140) .

(11) نقلاً عن (هكذا كانوا يوم كنا) د. حسان شمسي باشا ص(8) .

(12) عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندي – مجلد 7 ص(141) .

(13) عن (هكذا كانوا يوم كنا) د. حسان شمسي باشا (9) .

(14) عن (تشكيل العقل المسلم) د. عماد الدين خليل (94) .

(15) عن (مقدمات العلوم والمناهج) أنور الجندي (8 / 173) .

(16) (حضارة العرب) غوستاف لوبون ص(26 – 276 – 430 – 566) .

(17) قرآن كريم (سورة التوبة – 111) .

تم الكتاب بحمد الله تعالى!

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات